الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة

وزارة التعليــم العالــي و البحــث العلمــي

جامعــة 08 مــاي 1945 قالمــة

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم الفلسفة

تخصص فلسفة إجتماعية

الرقم التسجيل :

الرقم التسلسلي:

الموضوع :

النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في الفلسفة

إعداد الطالبتين :

- دخيل نصيرة
- مرابطي عايدة

المشرف	الرئيس	المناقش
د.الحاج علي كمال	د.العارم عبد الحميد	د.كحول سعيودي

2018/2017

قال الله تعالى :

« يرفعُ الله الذينَ آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات و الله بما تعملون خبير»

شكر و عرفان

دائما هي سطور الشكر و الثناء تكون في غاية الصعوبة عند الصياغة ربما لأنها تشعرنا دوما بقصورها و عدم إيفائها حق من نهديه هذه الأسطر ,و اليوم نقف أمام الصعوبة ذاتها و نحن نحاول صياغة كلمات الشكر و التقدير للأستاذ الفاضل :

" الحاج علي كمال "

و إلى من شجعنا على إختيار الموضوع الأستاذ رئيس القسم مرة أخرى , و كما نقدم أسمى آيات الشكر و الإمتنان و التقدير و المحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة ,إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم و المعرفة , إلى جميع أساتذتي الأفاضل ,و كذلك نشكر كل من ساعدنا على إتمام هذا البحث و مدّ لي يد المساعدة و زودني بالمعلومات اللازمة , الشكر موصول لكل من الأساتذة الذين درسوني طيلة الخمس سنوات

إهداء

إلى كل من كلله الله بالهيبة و الوقار , إلى من علمني العطاء بدون انتظار..... إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ....أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطفها بعد طول انتظار و ستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم و في الغد و إلى الأبد.

"والدي العزيز"

إلى ملاكي في الحياة ....إلى معنى الحب و إلى معنى الحنان إلى بسمة الحياة و سر الوجود

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي أغلى الحبائب

"أمي الحبيبة"

إلى أزهار النرجس التي تفيض حبا و طفولة و نقاء و عطرا , إلى الغاليات و الغوالي اللاتي مازلن يحيّين على أدراج العمر إخوتي : سميرة و زوجها –كريمة و زوجها –حكيم – عبد المالك – آمنة و زوجها

إلى عصافير الأسرة و سر بسمتها ,لؤي , علاء الدين ,آدم , ياسر , شعيب ,لبيب , عبد الجليل ,عبد الرؤوف.

إلى من هو أقرب من روحي إلى شريكي و رفيق دربي ,يا من أحمل اسمك بكل فخر ,أهديك هذا البحث

إهداء

الفضل لله وحده الذي وفقني لإنهاء عملي هذا الذي يعّد ثمرة المشوار الدراسي ,و بهذا لن أتوانى عن إهداء أول عطارة فكري ,و إلى من بها أكبر و عليها أعتمد...ظغلى رمز الحب و بلسم الشفاء ....إلى القلب الكبير ,إلى من بوجودها أكتسب القوة و محبة لا حدود لها ,إلى حكمتي علمي إلى أدبي و حلمي إلى طريقي المستقيم إلى ينبوع الصبر و الأمل ...إلى من عرفت معها معنى الحياة

* أمي الحبيبة *

و إلى الذي رعاني في صغري بالعطى و الحنان و في كبري بالعطاء و إلى من أنار لي درب الحياة ,إلى من أعدل في اربيتي و كان وراء نجاحي ,إلى مثال النبل و الفضائل إلى الذي أرادني متألقة في أعلى المراتب .

«إلى روح والدي الغالي رحمة الله عليه و جعله من أهل الجنة»

إلى من أثروني على نفسهم ....إلى من علموني علم الحياة إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة إخوتي وفاء ,مريم ,سارة ,علاء الدين و كذلك لا أنسى الذكر إلى التي خلقت من أجلها الصداقة و كانت لي رفيقة و أكثر من أخت رفيقتي العزيزة

"راضية , نصيرة"

و إلى من أعتز بالإنتساب لهما سندي في الحياة عائلتي الكريمة و كذلك لاننسى بالذكر الكتكوتين حفظهما الله إبنتا أختي

"ريبال و جوري "

و كل من يحمل لقب « مرابطي »

خطة البحث

النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر

مقدمة

1- الفصل الأول :النظرية النقدية من النشأة إلى التطور

- ✓ المبحث الأول :ماكس هوركهايمر حياته و مؤلفاته
- ✓ المبحث الثاني :مفهوم النظرية النقدية
- ✓ المبحث الثالث : نشأة النظرية النقدية

2- الفصل الثاني :أبعاد النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر

- ✓ المبحث الأول :النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر
- ✓ المبحث الثاني : التشيؤ عند ماكس هوركهايمر
- ✓ المبحث الثالث :مقارب نقدية للعقل التنويري عند ماكس هوركهايمر
- ✓ المبحث الرابع :مسألة التقنية عند ماكس هوركهايمر

3- الفصل الثالث : النظرية النقدية في الميزان

- ✓ الفصل الأول : إعادة بناء هابرماس للنظرية النقدية
- ✓ المبحث الثاني :النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر مزايا و مؤاخذات

خاتمة

ملحق الشخصيات و المصطلحات

الفهرس

قائمة المصادر و المراجع

مقدمة

مقدمة

تعتبر مدرسة فرانكفورت من أبرز المدارس الفلسفية الغربية المعاصرة التي تطورت بفضل جهود روادها الذين أثروا الإنتاج الفلسفي للمدرسة في مختلف أجيالها , الأول تحت قيادة كل من ماكس هوركهايمر و أدورنو و الثاني ممثلا في يورغن هابرماس و كارل أتوآبل , و الثالث ممثلا في أكسل هونيت , و تشكل هذه المدرسة انعطافا مهما في مسيرة الفكر الأوروبي المعاصر,حيث كان لها الأثر الكبير و الفاعل في صياغة نظرية نقدية تتعامل مع السوسيولوجيا , الفلسفة , السياسة ’الثقافة ,كأبعاد متداخلة و متشابكة في عملية تكوين و دراسة النظريات الاجتماعية و الأفاق المعرفية و الحضارية التي رافقت التطورات و التحولات التي شهدها المجتمع الأوروبي في ميادين الاقتصاد و السياسة .

و لقد انطلقت مدرسة فرانكفورت منذ نشأتها في مشروع بناء فلسفة اجتماعية تستمد مشروعية قيامه مباشرة من الفلسفة الماركسية و الهيجيلية ,هذه الفلسفة الاجتماعية التي أعلن هوركهايمر عن قيامها منذ محاضرته الافتتاحية تعتبر الإطار العام للمشروع الذي تمحورت حوله جهود كل رواد المدرسة بمختلف أجيالها بالرغم من

اطروحاتهم الفلسفية المتباينة إلا أن هذا التباين لا يعني غياب جسر للتواصل بين مختلف أجيالها ,فمدرسة فرانكفورت تكتسي اليوم أهمية بالغة نظرا لثراء و تنوع كتاباتها المنفتحة على مختلف المرجعيات الفلسفية الكبرى من جهة و مواكبتها المعقدة المطروحة في المجتمعات المعاصرة و للتحولات الفكرية ة الاجتماعية و السياسية لعالمنا المعاصر من جهة أخرى .

و المتتبع لمسار تطور المدرسة في نهاية الأربعينيات و في الخمسينيات نجد أن روادها من الجيل الأول هوركهايمر و أدورنو قد اتجها إلى نقد جذري للعقل و للحضارة الغربية بشكل أساسي , فقد حاول هوركهايمر أن ينشط النقد الثقافي الجذري و ناقش بدوره مسألة التسلط العسكري و المشكلة الاقتصادية التي تشل الحياة الاجتماعية ،كما بين مع زميله أدورنو أن مفهوم العقل تحول إلى طريق التنوير ، ليكون قوة لاعقلانية و لعل الحاصل من ذلك فرض العقل سيطرته لا على الطبيعة فحسب بل و على الإنسانية كذلك و هذا ما مثلثه الحركة الفاشية و الأنظمة الشمولية .

إن الوتيرة السريعة للتقدم العلمي و التكنولوجي ووصوله إلى مستويات متطورة جدا ،جعلت بعض المفكرين يستشعرون خطورة الوضع فسارعوا إلى التحذير من مآلات هذا التطور و انعكاساته السلبية التي صارت تهدد الوضع الإنساني ككل , بحيث أن

الوسائل التي يستخدمها الإنسان للسيطرة على الطبيعة قد سيطرت على ذاته,و نجد في مقدمة هؤلاء المفكرين المحذرين من هذه الوضعية الكارثية على الإنسان و المجتمع ,فلاسفة مدرسة فرانكفورت النقدية من الجيل الأول , و أخص بالذكر هوركهايمر و أدورنو اللذان عايشا عمليات التحديث في ألمانيا , خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية , و هذا ما دفعهما غلى السير في تقليد ثقافي و فلسفي ألماني يتخد من السلب و النفي و النقد مبدأه المُوجه.

لقد أُثار رواد مدرسة فرانكفورت الكثير من التساؤلات حول مختلف الحقول المعرفية , و برزت الحاجة الماسة إلى إعادة النظر في الكثير منها بالاعتماد على نقدهم للفكر الفلسفي و الاجتماعي و رفضهم التماشي مع أطروحات النظام الاجتماعي الذي كان قائما آنذاك و نقد إيديولوجيته.

و لم يتوقف نقدهم عند حدود المجتمع و مؤسساته بل تجاوز ذلك ليمس البنية الفكرية و السياسية لهذا المجتمع , بهدف الوصول إلى صياغة نظرية نقدية للمجتمع , و هذا التوجه النقدي الجديد الذي بلورته مدرسة فرانكفورت , جعلها محل اهتمام النخب المثقفة في المجتمع الأوروبي عامة , و المجتمع الألماني خاصة باعتباره المجتمع الذي تأسست فيه المدرسة , كما لقيت اهتمام المثقف الأمريكي في أمريكا باعتبارها

مجتمع المنفى لكثير من روادها خاصة من الجيل الأول , و لقد ترتب عن هذا الاهتمام بالأفكار النقدية لمدرسة فرانكفورت تشبع الشباب و الطلاب في الستينيات و كانت وراء قيام حركات إصلاحية مست المؤسسات الجامعية العلمية و المؤسسات الاقتصادية و السياسية .

لقد عكست النظرية النقدية محاولة لإيجاد بديل نظري نقدي واضح المعالم للوقوف أمام التيارات النظرية البرجوازية التي مارست و تمارس أنواعا من السلطة الفكرية , و هدفت في الأخير إلى تفويض الفصل التقليدي بين النظرية و التطبيق , و لقد أكد رواد الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت هوركهايمر أن ديالكتيك النظرية و التطبيق يجب أن يكون داخليا , و حتى ولو تتكرت النظرية للمحيط الذي تتحرك فيه فيجب أن تتحدد بالانفتاح على الجانب التطبيقي لكل فهم ذاتي و في لحظة تشكيل المصلحة .

و لا يمكن للمجتمع أن يُبنى على أسس سليمة , إذا تم الاكتفاء بالتنظير فحسب بل إنّ هذا البناء مشروط في الأساس بربط النظرية بالممارسة الثورية , و نجد في كتاب "جدلية التنوير" لهوركهايمر و أدورنو إشارة إلى العلاقة الجدلية بين الإنسان و البيئة الاجتماعية باعتبارها علاقة سيطرة على تاريخ الإنسانية بوجه عام ,و على تاريخ الفكر الأوروبي بوجه خاص , بحيث نجد أن القيم التي رافع عنها عصر التنوير , كالحرية و

الأخوة و المساواة , لم تتجاوز كونها قيما نظرية صورية , أدى نزولها إلى الواقع العلمي و الممارسة بفعل عصر التنوير إلى تمهيد الطريق لبروز الأنظمة الشمولية .

إن قيم عصر التنوير لا يمكن أن تتحول إلى واقع الممارسة و البراكسيس إلا إذا وجدت قوة الاجتماعية معينة تتكفل بهذا التحويل , أي الانتقال بهذه القيم من الإطار النظري الفكري إلى الممارسة الواقعية العملية , و لذلك انكب رواد مدرسة فرانكفورت على البحث عن هذه القوة الاجتماعية التي تتمكن من إحداث التغيير الثوري للمجتمع و إعادة بنائه على أسس العدالة و الحرية و العقل

فمهمة مدرسة مهمة نقدية راديكالية لواقع المجتمعات الغربية من الناحية الاقتصادية بحكم النظام الاقتصادي الرأسمالي , و الناحية السياسية بحكم هيمنة الأنظمة الفاشية و الاستبدادية , للكشف عن تناقضات هذا الواقع الراهن , و البحث عن البديل الذي يكمن في إفراز نظام اجتماعي و سياسي و اقتصادي قائم على العقل , يتحرر بموجبه الانسان من كل أشكال الاستبداد و من كل أنماط الوجود اللاإنسانية , فمهمة بهذا التعقيد و الصعوبة لا يمكن أن تؤدي إلا انطلاقا من بناء النظرية النقدية من التفاعل بين الفلسفة و الرصيد المعرفي للعلوم الاجتماعية

و في هذا السياق يندرج موضوع بحثنا الذي عُنون تحت تسمية : النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر حاولنا من خلاله الاشتغال على المشروع النقدي و الفلسفي لمدرسة فرانكفورت في جيلها الأول و تحديدا حول كيفية صياغة هوركهايمر للنظرية النقدية و دورها في نقد المجتمع الأوروبي الغربي و كذلك المساءلة النقدية لمشروع التنوير و للعقلانية الآداتية.

أما عن الدوافع التي كانت وراء اختيارنا لهذا الموضوع فيمكننا القول بأنها من جهة استجابة لهاجس تملكنا منذ تعاطينا لفعل التفلسف دراسة و تدريس , و هو أن للفلسفة دورا أساسيا في فهم مشكلات الواقع الإنساني , و تقديم الحلول للكثير منها , و في هذا إشارة واضحة إلى ضرورة ربط الفلسفة بالممارسة العملية , و هذا ما دافعت عنه مدرسة فرانكفورت بقوة خاصة في جيلها الأول , كرد فعل عن الوظيفة الإيديولوجية التي أسندت للفلسفة في في المجتمعات البرجوازية الأوروبية و التي تمتثل أساسا في أبعاد الأنساق الفلسفية عن الواقع .

فوجدنا أن موضوع المذكرة الذي اقترحه الأستاذ المشرف يجيب عن هذا الهاجس , و من جهة أخرى فإن مدرسة فرانكفورت و مشروعها النقدي لم تحظ باهتمام كبير من قبل الباحثين العرب , و خاصة في جيلها الأول مقارنة برواد الجيل الثاني و أخص

بالذكر هنا يورغن هابرماس , الأمر الذي جعلنا نعتقد بأن بحثنا هذا يعتبر محاولة لإثراء البحث في المشروع الفلسفي لهذا الجيل من المدرسة .

إن موضوع بحثنا هذا يتمحور حول إشكالية مركزية يمكن صياغتها على النحو التالي :

كيف استطاع هوركهايمر من خلال النظرية النقدية تجاوز مشروع التنوير الذي تحول إلى الأداتية ؟

إن هذه الإشكالية المحورية تندرج تحتها جملة من المشكلات الفرعية و التي يمكن صياغتها في جملة من التساؤلات منها :

-فيما تتمثل النظرية النقدية ؟ و إلى مدى يعود تاريخها ؟

- و ماهي أبعاد النظرية النقدية ؟ و كيف تحول مشروع التنوير من أداة لتحرير الإنسان من كل أشكال الهيمنة اللاهوتة و السياسية و من ربقة الأوهام و الخرافات التي قيدتها في عصر ما قبل التنوير إلى أداة لإخضاع هذا الإنسان إلى سيطرة شاملة على عقله و عواطفه و رغباته ؟

– و هل كانت هناك آثار و نتائج للنظرية النقدية ؟ و هل كانت هنالك حلول و بدائل أخرى للنظرية النقدية ؟

و كوننا لسنا أول من تناول النظرية النقدية في البحث و الدراسة يمكننا ان نذكر بعض الدراسات و البحوث السابقة , من اهم هذه الدراسات مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة لنوررالدين بوزار بعنوان " الفلسفة و العلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت ماكس هوركهايمر و تيودور أدورنو"

المصادر و المراجع , أما عن المصادر و المراجع فاعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع متمثلة فيمايلي :

ماكس هوركهايمر ,ثيودور أدورنو: " جدل التنوير" – ماكس هوركهايمر "النظرية التقليدية و النظرية النقدية " – يورغن هابرماس " جدلية العلمنة العقل و الدين"

أفايا محمد نو الدين :"الحداثة و التواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة" – كمال بومنير:"النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيت" – حسان مصدق :"يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت"

و اعتمدنا في تناول في معالجتنا لإشكالية هذا البحث عن المنهج التحليلي النقدي الذي يتناسب في رأينا مع طبيعة البحث و الإشكالية التي يطرحها .

و للإجابة عن هذه الإشكالية رسمنا خطة تضمنت إضافة إلى المقدمة ثلاثة فصول و خاتمة .

مقدمة :تمت فيها التعريف بموضوع البحث و أهميته و أسباب اختياره و كذا ضبط الإشكالية و المشكلات المتفرغة عنها , كما أشرنا فيها إلى الخطة المتبعة و المنهج المعتمد , وتطرقنا فيها أيضا إلى أهم الدراسات السابقة و الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا العمل

فصل أول :اخترنا لهذا الفصل عنوان :"النظرية النقدية من النشأة إلى التطور أردنا من خلاله تتبع السياق التاريخي العام لنشوء هذه المدرسة و قد قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول و كان تحت عنوان «ماكس هوركهايمر حياته و مؤلفاته » الذي تطرقنا من خلاله إلى تحياته و كيف تأسيسه لمعهد فرانكفورت و عرض أهم كتيبة .

المبحث الثاني :تحت عنوان « مفهوم النظرية النقدية » حيث تحدثنا عن مفهوم النظرية النقدية و أصولها التاريخية , و أهم التعريفات لبعض الفلاسفة .

المبحث الثالث : و كان تحت عنوان «نشأة النظرية النقدية »حيث تتبعنا البداية الأولى لنشأة النظرية النقدية أي محطة التأسيس الأولى , و منطلقاتها الفكرية ,و المراحل التي مرت بها .

فصل ثاني :تحت عنوان : أبعاد النظرية النقدية , تناولنا فيه أبرز إسهامات هوركهايمر و قسمنا هذا الفصل إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول :تحت عنوان « النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر » حيث تحدثنا عن كيفية صياغة ماكس للنظرية النقدية و أهم إسهاماته في ظل هاته النظرية.

المبحث الثاني : كان تحت عنوان :« التشيؤ عند ماكس هوركهايمر » حيث تطرقنا فيه إلى تحول الإنسان إلى آلة و تشبيهه إلى شيء .

المبحث الثالث : عنوانه :« مقارنة نقدية للعقل التنويري عند ماكس هوركهايمر » حيث تحدثنا فيه عن نقد هوركهايمر للعقل التنويري , و تحديد أهدافه و كيف تحول عقل الإنسان إلى آلة .

المبحث الرابع : عنوانه :« مسألة التقنية في مدرسة فرانكفورت » حيث تناولنا من خلاله تأثير التقنية و التطور على حياة الإنسان فبالكاد أصبح آلة .

فصل ثالث :تحت عنوان « النظرية النقدية في الميزان » تطرقنا من خلاله إلى إعادة جديدة للنظرية النقدية و قسمنا هذا الفصل بدوره إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عنوانه « إعادة بناء هابرماس النظرية النقدية » تكلمنا فيه عن صياغة هابرماس للنظرية النقدية وما الجديد الذي أتى به .

المبحث الثاني : عنوانه :« النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر مزايا و مؤاخذات

خاتمة : وقفنا من خلالها على اهم النتائج التي تم استخلاصها من دراستنا هذه للنظرية النقدية , و كذا الأفاق التي فتحتها , و كيف تمكننا من القيام بدراسة نقدية جزئية لواقعنا.

الفصل الأول

النظرية النقدية من النشأة إلى التطور

المبحث 01 : ماكس هوركهايمر حياته و مؤلفاته

المبحث 02 : مفهوم النظرية النقدية

المبحث 03 : نشأة النظرية النقدية

المبحث الأول : النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر

«ولد ماكس هوركهايمر في 14 فيفري 1895 بمدينة شتوتغارت ابن أحد الصناعيين اليهود ,فهو سليل عائلة يهودية ثرية , و بتأثير عائلته ترك دراسته في المدرسة المتوسطة و كان عمره في حدود السادسة عشرة , ليعمل بمصنع النسيج الذي هو ملك أبيه و لقد التقى بفريدريك بولوك في عام 1912 و تواجد معا في باريس ثم في بروكسل .و قبل الحرب العالمية الأولى عاش في مانشستر , و في عام 1917 شارك في الحرب و أصيب فيها , و لقد أنهى دراسته الثانوية مع صديقه بولوك و انخرطا من 1919 إلى 1922 في دراسة الفلسفة و علم النفس و الاقتصاد السياسي بجامعة ميونخ »**(1)** و لقد قرأ هوركهايمر أيضا لكثير من الفلاسفة نجد من بينهم "شبنهاور" و "تولستوي" و ماركس وانجلز , و نجد كذلك ناقش عام 1922 أطروحته للدكتوراه و التي كان عنوانها :" نقد الحكم عند كانط , التوسط بين الفلسفة العملية و الفلسفة النظرية " تحت إشراف الأستاذ هانزكورنويس .و لقد بدأ التدريس عام 1926 بالتقرب من الماركسية , و في عام 1930 عُين أستاذا للفلسفة الاجتماعية بجامعة فرانكفورت و في نفس السنة أصبح مديرا للمعهد خلفا لجرونبرغ و في عام 1932 أسس مجلة معهد الأبحاث الاجتماعية.

[1]) نورالدين بوزار:الفلسفة و العلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت .ماكس هوركهايمرو ثيودور أدورنو –نموذجا– ,دراسة تحليلية نقدية ,أطروحة الدكتوراه , كلية العلوم الاجتماعية ,جامعة وهران ,2016,ص30.

«و لقد اضطر هوركهايمر إلى مغادرة ألمانيا في 1933 كنتيجة لوصول هتلر إلى الحكم فهاجر إلى جنيف و باريس و نيويورك و استمر في نشر" مجلة للبحث الاجتماعي " و في الإشراف على نشر " دراسات في الفلسفة و العلم الاجتماعي و عند ما تحول معهد الأبحاث الاجتماعية إلى جنيف بسويسرا اتخذ اسما فرنسيا هو : الشركة الدولية للأبحاث الاجتماعية " و التي امتد إشعاعها ليمس فرنسا و إنجلترا »**(1)**

و لقد أعاد المعهد بعث نشاطه في الولايات المتحدة الأمريكية بنيويورك سنة 1934 بمعنى مكان تواجد أو استقرار هوركهايمر مع كل من زملائه من ماركيوز و لونثال و بولوكوفيتوو جل وفروم و بعد ذلك نجد أن هوركهايمر انتقل إلى لوس أنجلس بولاية كاليفورنيا و هناك تعاون مع زميله أدورنو على إصدار كتابهما " جدل التنوير " و استمر في تحرير مجلة معهد البحوث الاجتماعية , تحت إسمها الجديد " دراسات في الفلسفة و العلم الاجتماعي.

« لقد اشتغل هوركهايمر للسنوات 1951 – 1953 رئيسا بجامعة فرانكفورت , و استمر في الوقت نفسه في التعليم الجامعي حتى تقاعد في منتصف الستينيات في 1958 و من ثم زار أمريكا مرتين , و ذلك ليحاضر في شيكاغو و ظل رمزا ثقافيا متميزا حتى وفاته في نورمبرغ بتاريخ 07 جويلية 1973 و دفن في المقبرة اليهودية في برن في سويسرا .»**2**

[1]) عبد الرحمن بدوي :موسوعة الفلسفة ,ج1,المؤسسة العربية للدراسات و النشر ,بيروت ,ط1 ,1984 ,ص565.

[2]) علي عبود المحمداوي :موسوعة الابحاث الفلسفية (الفلسفة الغربية المعاصرة صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج),ج1 ,منشورات ضفاف ,بيروت , ط1 , 2013,ص611.

إن هذه الوقفة البيبليوغرافية مع الرائد الأول لمدرسة فرانكفورت أي بمعنى ماكس هوركهايمر قد لا تعطينا فكرة دقيقة عن مكانته في فكر المدرسة و لا تتضح مكانته الفكرية إلا من خلال الوقوف على أهم إسهاماته الفكرية في حقل الفلسفة و العلوم الاجتماعية و كذا النظرية النقدية التي تبرز لنا من خلال مؤلفاته و كتبه المتنوعة و التي نذكر منها البعض و كذا نشير إلى أهم المواضيع الأساسية و القضايا والمشكلات الرئيسية التي عالجتها هذه المؤلفات و منها :

1-كتاب النظرية التقليدية و النظرية النقدية :

« الذي صدر سنة 1937 , و يعتبر من أبرز الدراسات التي نشرها هوركهايمر و فيه حاول أن يحدد معالم النظرية النقدية و ضديتها من التقليدية فقد رأى أن الإجابة عن السؤال : ماذا يعني ذلك للنظرية الاجتماعية لتكون نقدية ؟ . فهي يجب أن تقدم نقدا للحياة السياسية القائمة و استعانة بالنقد الماركسي »[1] . و بعبارة أخرى إن النظرية النقدية ليست وصفية فحسب , بل هي وسيلة للتحريض على التغيير الاجتماعي من خلال توفير المعرفة لقوى الظلم الذي يمكن بدوره أن يبلغ التحرر أو على أقله أن يظهر التناقضات و التفاوتات في داخل النظام , و نجد أن هوركهايمر قد نقد النظرية التقليدية في التفكير و حدد خطوطها لاتجاهات جيدة تتوخى النقد التحليلي للواقع و لحركية المجتمع و السياسة .

[1]) المرجع السابق ص 612 .

2-كتاب خسوف العقل :

« الذي صدر سنة 1941 تألف من خمسة أقسام :الوسائل و الغايات , صراع الحلول , ثورة الطبيعة , صعود الفرد و سقوطه , و مفهوم الفلسفة . لقد درس هوركهايمر في هذا الكتاب مفهوم العقل في تاريخ الفلسفة الغربية و لقد حدد العقل بكونه دهنية , و على مستوى العقل ميز بين 03 أنواع من العقل . العقل الموضوعي , العقل الذاتي , العقل الأداتي »[1]

3-كتاب الفلسفة و العلم الاجتماعي :

« لقد ظهر هذا الكتاب في مجلد ما بين 1930 – 1939 و بالتحديد خلال الفترة التي إنتقل فيها معهد البحث الاجتماعي إلى جنيف و من ثم التحق بجامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية , ولقد شمل مجموعة من المقالات : النادية و الأخلاقية , الموقف الراهن للفلسفة الأخلاقية و مهمات البحث الاجتماعي »[2]

إذن تجدر لنا الإشارة هنا إلى أن لهوركهايمر أعمال أخرى بحيث لا يتسع المقام لذكرها و تقديم فكرة عن محتوياتها .

4-كتاب جدل التنوير :

« و يعتبر من أوائل الكتب التي تصدرت مكتبة فرانكفورت , فهو يعود إلى حقبة الأربعينيات من القرن الماضي , و بالضبط عام 1947 , بحيث تكلم فيه هوركهايمر عن

[1]) نورالدين بوزار : الفلسفة و العلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت,ماكس هوركهايمر و ثيودور أدورنو,المرجع السابق ,ص33.
[2]) المرجع السابق ص33,

التنوير التاريخي الغربي كما تمثله الآن الغربية بوصفه عقلية شاملة يكون هدفها الأخير و النهائي هو نزع السحر و الأسطورة عن العالم »[1] هذا الكتاب لقد كتبه ماكس هوركهايمر مع زميله ثيودور أدورنو .

5-كتاب بدايات فلسفة التاريخ البورجوازية :

« في هذا الكتاب قد أولى هوركهايمر اهتماما كبيرا بحركة الناس في التاريخ و إهتم كذلك بقضية المنشأ و الأصل و البدايات و التشكل حيث كان يعتقد بأنها تعتبر مفتاح لكل عمل نقدي , و يمكن اعتبار فلسفته ذات طابع سياسي بامتياز »[2]

1) ماكس هوركهايمر.ثيودور أدورنو:جدل التنوير , تر,جورج كاتورة,دار الكتاب الجديدة المتحدة ,ألمانيا ' الطبعة الأولى , 1944 ,ص3.

2) علي عبود المحمداني , موسوعة الأبحاث الفلسفية (الفلسفة الغربية المعاصرة صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج),المرجع السابق ص613 -614.

المبحث الثاني :مفهوم النظرية النقدية

« يعود تراث النظرية النقدية إلى ما يزيد على خمسة ألاف و سبعين عاما , و هي الأعوام التي مضت على ابتداء بهذا الاسم عام 1923 . في معهد البحث الاجتماعي في مدينة فرانكفورت الألمانية التي أعطت هذه النظرية اسمها الأكثر شيوعا , مدرسة فرانكفورت , و ذات النظرية النقدية هو ذات الفكر لا يزال يترك بصمته الواضحة على المشهد الفكري في أوروبا الغربية و أمريكا الشمالية كاشفا قدرة على التجدد و العودة إلى الحياة كلما بدا أنه يسير في المسار الطبيعي الذي تؤول إليه الأشياء جميعا فقوة تحديه النقدي لبعض الاتجاهات الفكرية الأشد نفوذا في القرن العشرين , كالوجودية و الوضعية و مؤخرا ما بعد الحداثة »[1]

– يعد اسم مدرسة في فرانكفورت اصطلاحا فضفاضا , استعمل أثر رجعي , أما الاسم الذي أطلقه فريق هوركهايمر أنفسهم فقد كان النظرية النقدية للمجتمع , حيث تم عرض طبيعة هذه النظرية بأكبر قدر من الوضوح في مقال نشر عام 1937 بيد هوركهايمر , بعنوان النظرية التقليدية و النظرية النقدية , بالإضافة إلى هذا المقال كا ن هناك مقال أخر نشر في نفس العام عن طريق هوركهايمر و ماركيوز بعنوان " الفلسفة و النظرية النقدية "

[1]) ألان هو:النظرية النقدية ,تر:ثائر ذيب ,دار العين للنشر , الاسكندرية , الطبعة الأولى , ص11.

– و يبدو انعكاس هذه المناقشة كان له دور مهم في اصطلاح النظرية النقدية الذي تم ابرازه في الكثير من المقالات اللاحقة في المجلة ZEDTSCHRIFT , و أيضا بالنسبة لماركيوز إلى يومنا هذا , و في سنة 1938 فسر ماركيوز النظرية النقدية على أنها نظرية المجتمع , و قد تم عرض هذه النظرية في الكثير من المقالات التفسيرية في مجلة البحث الاجتماعي على أساس الفلسفة الجدلية و نقد الاقتصاد السياسي , و بعد ذلك أعيد طباعة مقالات هوركهايمر في الستينيات أصدرها المدير السابق للمعهد تحت عنوان " النظرية النقدية " شارحا في المقدمة مغزى عمله بعبارة " النظرية النقدية للمجتمع «و فيما سنشير إليه منذ الآن فصاعدا بوصفه " ما نفستو " (بيان) مدرسة فرانكفورت يوضح هوركهايمر أن كلمة النقدية مقصودة هنا ليس بالمعنى المفهوم في النقد المثالي للعقل الخاص يقدر بالمعنى المفهوم في النقد الجدلي للاقتصاد السياسي »[1]

– فهنا نجد الصياغة محددة تماما , فالمعنى الكانطي للنقد يلعب بالفعل دورا لكنه دور خاضع للمعنى الماركسي للكلمة , و هذا التقارب بين المعنيين حدده هوركهايمر في تتمة هذا المقال

– و هكذا فإن النظرية النقدية للمجتمع تتجه إلى الأفراد بوصفهم منتجي حصيلتهم الثقافية و بالتالي منتجاتهم التصورية , هنا يمكن القول انها محاولة إقامة علاقة منطقية بين مادة الحقائق التي لا يمكن اختزالها فيما يظهر و الإنتاج الأناني نقطة تتفق النظرية النقدية للمجتمع بشأنها مع المثالية الألمانية .

1) كمال بومنير :النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث , الدار العربية للعلوم ناشرون, بيروت , الطبعة1 ,2010 ,ص57.

– و ما ترمي إليه النظرية هو أن تكون ديالكتيكية , ليس لأن مثل هذه النظرة تردد أصداء الطبيعة التأملية للعقل و حسب , بل من ناحية سياسية أيضا لأن العقل الديالكتيكي هي خاصية تعكس علاقة هذا التعقل المحايثة بالواقع الاجتماعي .

– و ترى النظرية النقدية أن ثمة قوى متعددة في عالمنا الحديث في حالة من التضاد و الترابط في آن و احد مع الأخرى : العلم و التكنولوجيا بوصفهما محورين أو مدمرين للثقافة بوصفها منبهة و موقظة أو مهدئة و مسكنة و مهمتها هي أن تستقصي هذه الأضداد المترابطة ديالكتيكيا و تتبين الخطوط العريضة لما يمكن أن تغدو أكثر عقلانية .

– يرى ماركيوز أن النظرية النقدية اتخذت النقد منهاجا لها و حاولت القيام بممارسة نقدية جذرية للحضارة الغربية قصد إعادة النظر في أسسها ونتائجها في ضوء التحولات الأساسية الكبرى التي أفرزتها الحداثة الغربية و خاصة منذ الأنوار التي تعتبر نقطة تحول جوهرية في مسار هذه الحداثة كما أنها لعبت دورا مهما في رصد مختلف الأعراض المرضية التي عرفتها المجتمعات الغربية المعاصرة ,كالشيؤ و الاغتراب و ضياع مكانة الفرد في المجتمع .

« أما أدورنو : فقد ركز على نقد الانطولوجيا المعاصرة , و خاصة انطولوجيا هيدغر على عكس " يورغنهابرماس " فلم يكن نقده موجها لهيدغر صاحب الكيونونة أو الوجودي , وإنما كان نقده موجها لهيدغر ذو الإشعاع السياسي و الذي ترك أثرا بالغا في مجرى تفكير الشباب الألماني من خلال محاولة إخضاع التقنية للإدارة الإنسانية »[1].

1) زهاني كريم : موقف النظرية النقدية من الابستيمولوجيا الوضعية "هربرت ماركيوز نموذجا" ,مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في الفلسفة ,كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ,جامعة منتوري قسنطينة 2011–2012 ,ص6.7

– إلى أن هوركهايمر أثبت حدود التنوير و التنوير هنا لا يقصد به الحركة التي ظهرت في اليونان القديمة و أدت إلى تحكم العقل في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية .

– و بالتالي فإن مدرسة فرانكفرت هي مراجعة تاريخية للعقل منذ أفلاطون حتى الحرب العالمية الثانية , و حيث نجد أن هوركهايمر و أدورنو في أسباب إنحراف المجتمعات الأوروبية نحو البربرية في الوقت الذي بلغت فيه أقصى ذروة التطور المادي , و عن الانقلاب التقدم إلى التراجع و عن انقلاب العقل إلى نقيضه , و كانت النتيجة لتحليلهما لهذه الأوضاع هو أن العقل و نظيره (الأسطورة) ليس منفصلين و انما مترابطان ببعضهما البعض من خلال علاقة جدلية مستمرة على مدار التاريخ .

– فصحيح أن العقل ولد بعد تخلصه من قيود الأسطورة إلى أنه اضطر فيما بعد التحول إلى أسطورة لكي يكافحها بشكل أفضل .

–« أما ماركيوز فقد أعاد تأسيس المادية التاريخية , و نقض الوضعية التي كان ماركس التقليدي ضحية لها و بين بزوغ الحرية من خلال الفعل التاريخي و بالتالي إمكانية قيام أخلاق ثورية , و بين الطابع الإيجابي للثقافة , و قدرتها على التأثير و ليس مجرد انعكاس فحسب »[1]

– فالمثقفين نجدهم يتأرجحون بين مواقع التفاؤل المفرط , و هو تفاؤل الذي ينبثق من الشعور فالنسبة لماركيوز يرى من الضروري تغيير و تعديل هذه النظرية فقد سعى جاهدا للوصول للاعتدال الممكن لحياة الإنسان في ظل تلك التجاوزات الرأسمالية و الماركسية التقليدية

[1]) المرجع السابق ص8.

– و على هذا الأساس نجد أن النظرية النقدية قامت على السياسة الماركسية , حيث اعتمدت على مقاربات تركيبية , حيث يقوم على ربط الفلسفة بالعلوم الاجتماعية و الإنسانية و ليس هذا فقط بل حاول كل من هوبوت " ماركيوز " و ماكس هوركهايمر " إعطاء تغيرات للنظرية النقدية و حددوا أهدافها بالإضافة إلى تحليل و تفسير الضعف الذي ينتاب النظرية و اقترحوا حلول لتقليدها و إعادة بنائها و ركزوا أيضا على كبح ذلك التقدم الفعال من خلال تضاعف الثقافة الصناعية و لقد أكد ماكس هوركهايمر أنه يتوارى وراء الليبيرالية محور مميز و فعال في التطور التاريخي , و هي النقطة الجوهرية في ثقافة النظرية النقدية .

المبحث الثالث : نشأة النظرية النقدية

أصولها التاريخية :

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ' شكل مجموعة من المفكرين الذين قطعوا صلتهم بالماركسية الأرثوذكسية تجمعا لهم يسمى باسم مدرسة فرانكفورت و هذه التسمية هي الأكثر شيوعا اليوم , و الأغلب على الاستعمال للدلالة على تلك المجموعة من المفكرين الذين بدورهم نظروا للمدرسة و نجد أن هذا الإسم أطلق عليها خلال الستينات .

« إن مدرسة فرانكفورت تعتبر هي ذلك التيار الذي تحقق في فرانكفورت عند إنشائها بقرار من وزارة التربية بتاريخ 1923 , حيث نشأت في البداية حول معهد البحث الاجتماعي في جامعة فرانكفورت , و كانت هذه التسمية التي قدمت لوزارة التربية الوطنية , و هي جزء من المشروع و لقد قام مجموعة من الفلاسفة و علماء الاجتماع الذين رفضوا الانضمام إلى الحزب الشيوعي الألماني »[1], و هذا بعد فشل الثورة في ألمانيا , إلا أن هذا المشروع لم يتكلل بالنجاح و كان في عام 1922 « كان فليلكس فايل هو المؤسس الحقيقي للمعهد , فقد مول أول أسبوع ثقافي ماركسي , فقد حضر هذا الأسبوع شخصيات فكرية مرموقة أمثال : جورج لوكاش الذي تعهد في هذا الأسبوع كذلك على إجراء مراجعة نقدية للكتاب الذي كان تحت عنوان " التاريخ و الوعي الطبقي " الذي نشر عام 1923 »[2].

[1]) المرجع السابق ص6

[2]) المرجع نفسه ص7

إذن و كان هذا من الموضوعات التي ألهمت نشطاء أعضاء مدرسة فرانكفورت و الذي دلّلعلى إستقلالية المدرسة عن الحزب الشيوعي و هذه الاستقلالية كانت شرطا ضروريا , بحيث جعلت من العمل النظري للمدرسة عملا حقيقيا .

« لقد كان كارل كرونبرغ هو أول من ترأس المعهد , و عيّن أستاذ الاقتصاد الاجتماعي بفيينا و كذلك هو مدير أرشيف تاريخ الاشتراكية و الحركة العمالية و هو ذو ماركسية معلنة , كما كان على علاقة مع ماركس أدلر , و نجد أن كارل كرونبرغ خلال فترة ترأسه للمعهد حاول إبراز أن النظرية الاجتماعية كانت تهدف إلى إثبات زوال الدعم للدين القائم بموضوعية , و اندثار أخر ما تبقى من آثارها قبل الرأسمالية .و بعد تولي ماكس هوركهايمر بعده مهامه الذي تبلورت معه أبحاث المعهد بصورة فعلية و ذلك عام 1931 بحيث لم يعد الاهتمام مُنصبا على نقد الاقتصاد السياسي »[1]

إذن و على هذا الأساس نجد ان مدرسة فرانكفورت قامت على السياسة الماركسية حيث أنها إعتمدت على مقاربات تركيبية و تقوم كذلك على ربط الفلسفة بالعلوم الاجتماعية و الإنسانية و ليس هذا فقط بل نجد كل من هوركهايمر و ماركيوز حاولوا إعطاء تغيير ات لهانه النظرية النقدية , و حددوا أهدافها , و كان ذلك مع بدايات ظهورها , و نجد أن كلا منهما قد أعطى تفسيرا تاريخيا للحلقة خلال هاته الفترة , و حللوا الضعف الذي كان يتخلل النظرية و درسوا الوضعية المزرية لها ' و اقترحوا ضرورة تعديلها .

[1]) المرجع السابق ص7 .9

« لقد أكد ماكس هوركهايمر أنه يتوارى وراء الليبيرالية محور مميز و فعال في التطور التاريخي و هي النقطة الجوهرية في ثقافة المدرسة , و النظرية النقدية ,فتطور الليبيرالية في المجتمعات البرجوازية الحديثة خلال فترة 70 و 80 كانت فترة زيادة التوتر و الصراع بين الطابع التقليدي للسلطة و المطالبة بالحرية الفردية »[1].

إذن هاته الإرصامات التاريخية الأولى للنظرية نجده تعكس لنا النية الحقيقية لهاته الأخيرة التي تناولت سيطرة و تماسك النظام المادي حيث كان الهدف من وراء هذا كله هو معالجة بعض السمات لنظرية الفكر الفلسفي , والتي تطورت مع كتاب أدورنو في السنوات القليلة الأولى .

«هذا ما كان منطقا حقيقيا لإفراز النظرية النقدية , التي استخدمها "كانط" حيث فضل ماكس هوركهايمر تعبير النظرية النقدية و الذي لم تطبقه المدرسة في نظرية المعرفة فحسب , بل تم تطبيقه أيضا في النظرية الاجتماعية فالكلمة اليونانية "KRISIS" تعني الحكم , و بعدها تطورت معانيها في عدة ميادين علمية و حتى في النقد العقلي »[2]

إن الفلسفة الاجتماعية التي أعلن هوركهايمر عن قيامها في درسه الافتتاحي تعتبر هي الإطار العام للمشروع الذي إلتفت حوله جهود كل من اعتنقه كفكرة توجيهية . إذن فالعما النظري أو البحث العلمي و الفلسفي هو الأساس الذي أسند لمدرسة فرانكفورت قيمتها الجوهرية ضمن التيارات و المذاهب الفكرية الحالية .

1) حسن مصدق :يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية التواصلية),المركز الثقافي العربي ,الدار البيضاء , الطبعة الأولى , 2005 ص 28

[2]) محسن الخولي :التنوير و النقد (منزلة كانت في مدرسة فرانكفورت),دار الحوار للنشر و التوزيع , سوريا , الطبعة الثانية ,2009,ص45.46

« و لقد ضمت مدرسة فرانكفورت في الفترة التي أشرف عليها هوركهايمر كلا من :أدورنو , والتر بنيامين , لوفنتال . و من بعدهم الرعيل الثاني الذي ضم مجموعة من الفلاسفة و المشتغلين في علم الاجتماع مثل :يورغنهايرمس تحت إسم يعرف " مدرسة فرانكفورت " فمكانة هذه المدرسة إتضح تجدرها من خلال تأسيسها في الثقافة الغربية المعاصرة , و ذلك منذ نصف قرن تقريبا , على إعتبار أن لها القدرة الكافية على فهم الإشكاليات التي يتمحور حولها الفكر الغربي »[1]

و كذلك من خلال قراءة معمقة للتراث الأوروبي و على تنوعه , و كذلك إستخدامها لأدوات منهجية تحليلية نقدية , نجد أن الفرد تحرر من هيمنة الإيديولوجيا الغربية .

« و بالنظر إلى خصوصية عدم تحقق الدولة التي أنشأت المدرسة لغاية خدمتها يمكننا فهم خلفية تسمية المدرسة بالحلقة أو الطليعة , فالأولى كانت تشير إلى عدم اتساع انتشار التعاليم ' أي محدودية عدم الإتباع , اما الثانية فكانت تشير هي الأخرى إلى نوع من الإلتزام و النضال من أجل تحقيق رؤية أو مبدأ ' لذلك نجد أن معظم الأعضاء الذين إلتفوا حول هوركهايمر كانوا ينظرون إلى أنفسهم كمنظرين مستقلين عن الطبقة العاملة رغم تنبيههم لقضيتها و ليسوا مناضلين سياسيين »[2]

[1]) عمر مهيبل : من النسق إلى الذات , الدار العربية للعلو, الجزائر , الطبعة الأولى ,2007 , ص 125 .

[2]) محسن الخوني : التنوير و النقد (منزلة كانت في مدرسة فرانكفورت),المرجع السابق ص 39 .

و نجد ان المدرسة تقوم بمراجعة شاملة للوعي الأوروبي , و بالتالي فهي عودة إلى "هيجل " بإعتباره مؤهل المثالية , و بالتالي فهي عودة نقدية إلى كانطعلى إعتبار أن هيجل شارحا و ناقدا له , و في هذا الصدد نجد "لنين " قد اتفق مع هيجل في مسألة نقده لكانط .

« و لقد إرتبطت المدرسة بالكانطية الجديدة و خاصة بالمدرسة الاجتماعية فيها و "بماكس فيبر" بدرجة أخص إلى جانب ذلك فالمدرسة تمثل أيضا أحد روافد اليسار الجديد في الفكر السياسي الغربي , إذ أنها مراجعة للماركسية التقليدية الداروينية و بذلك فهي جزء لا يتجزأ من ماركسية القرن العشرين أمثال روجيه جارودي و جورج لوكاش »[1]

و بالتالي لقد تبين ان المدرسة تظهر تاريخيا أنها تتوخى إضافة معرفية كلية ,لأنها تحاول و بشكل كبير تحرير الإنسان من الرّق و العبودية .

و نجد في هذا الصدد أنه هوركهايمر قدم نقدا للوضعية في مقالين نشرا عام 1937 و يمكننا كذلك النظر إلى شخصية هوركهايمر من ناحيتين : الأولى تبرز لنا من خلال مزاياه و القول بأنه رمز محافظ على وحدة المجموعة و كذا حرية الإتجاه النظري و العملي و الثانية نجدها تقف على السلبيات و هو الوجه الذي يشكك و يضعف من كاريزميتهو كل هذا نجده يضعف من مكانة هوركهايمر و مهنته التي كانت تتركز على تفسير الواقع الحقيقي و كذا خصائص المجتمع من خلال تحليله .

[1]) زهاني كريمة : موقف النظرية النقدية من الابستيمولوجيا الوضعية ,المرجع السابق ص ص 11. 12

« أما بالنسبة لماركيوز , فنجده قد أعاد تأسيس المادية التاريخية و نقض الوضعية التي كان ماركس التقليدي ضحية لها , ولقد بين بزوغ الحرية من خلال الفعل التاريخي و بالتالي إمكانية قيام أخلاق ثورية , و بين الطابع الإيجابي للثقافة و قدرتها على التأثير و ليس مجرد إنعكاس فحسب , فالمثقفين نجدهم يتأرجحون بين مواقع التفاؤل المفرط , و هو التفاؤل الذي ينبثق من الشعور بالقوة »[1].

و نجد أن ماركيوز يقر أنه من الضروري التغيير في النظرية من حيث بنيتها , لأنه حاول الوصول إلى الاعتدال الممكن لحياة الإنسان , و ذلك في ظل التجاوزات الرأسمالية و الماركسية التقليدية .إذن و من هذا المنطلق نجد ان ماركيوز قد ركز في كتابه " العقل و الثورة " على وضعية كونت و نظيرتها الألمانية بإعتبارها أنها ردا واعيا على الإتجاهات النقدية الهدامة .

«أما بالنسبة لأدورنو فنجده قد ركز على نقد الانطولوجيا المعاصرة و خاصة انطولوجيا هيدغر على عكس " يورغنهابرماس " فلم يكن نقد موجها لهيدغر صاحب الكينونة أو الوجودي , إنما كان نقده موجها لهيدغر ذو الإشعاع السياسي و الذي ترك أثرا بالغا في مجرى تفكير الشباب الألماني , و ذلك من خلال محاولة إخضاع التقنية للإرادة الإنسانية , في حيث أن هوركهايمر قد أتبث حدود التنوير و المقصود هنا ليس فقط الحركة التي ظهرت في القرن 18 م التي كانت على هجوم العقل على التراث المسيحي التقليدي , بل كانت و بشكل عام هي تلك الحركة التي ظهرت منذ اليونان القديمة , و أدت إلى تحكم العقل و بمجمل الحياة الاجتماعية و الثقافية الغربية »[2]

[1]) المرجع السابق ص 13 .

[2]) المرجع نفسه ص 14 .

و بالتالي فإن مدرسة فرانكفورت هي مراجعة تاريخية للعقل , منذ أفلاطون حتى الحلاب العالمية 2 , و نجد أن كل من أدورنو و هوركهايمر قد تساءلا عن أسباب انحراف المجتمعات الأوروبية نحو البربرية في الوقت التي بلغت فيه أقصى ذروة التطور المادي , و في الوقت التي تمتلك فيه كل الوسائل و الإمكانيات لتحقيق السعادة و نجد أن النظرية النقدية في نقد العقل لها من الطرق النافدة و الإستقلالية لأنها تكشف بطريقة أو بأخرى , عن محور النظرية النقدية و التي كانت مرتكزة حول مكافحة الإغتراب .

2- منطلقاتها الفكرية :

بعد أن رصد فلاسفة و علماء الاجتماع في مدرسة فرانكفورت مختلف الأعراض المرضية التي أصابت العصر مثل : التشيؤ, الاغتراب , و نجدهم حدا بهم ذلك إلى أن يقيموا نقدا حدا ليوتوبيا التقدم النقي و النظريات التبشيرية بعالم الأحلام الموعود .« و نجد أنهم انتقدوا في حينه النزعة العلموية التي تتصور المعرفة كطبيعة موضوعية مجردة عن المصلحة و نظرا لكون الثقافة الأنجلوساكسونية تاريخيا مبنية على التجريبية في اتجاهها العام فلسفيا قد انعكس ذلك على علم الاجتماع , حيث كان التركيز على الدراسات الميدانية الإمبريقية دو ن الاهتمام بربطها بنظرية اجتماعية معينة , بمعنى محاولة إعطاء تصور عن العالم على كونه مستقلا عن القيم و غير مرتبط بدوافع تبررها مصالح اجتماعية و اقتصادية و سياسية »[1]

[1]) حسن مصدق: يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت , المرجع السابق ص 11.

و نجد إذن أن المدرسة قد بلورت أفكارها في شكل معطيات و نقاط مؤسسة لتوجههم النقدي و قد تمثلت أفكارهم في الآتي :

- « إن المجتمع ليس مجرد مقولة حيادية كما ذهب إليه أصحاب النزعة الوضعية .
- إن نقد الاتجاهات العلمية و الموضوعية التي تقوم عليها الماركسية في صورتها المتزمتة و هي بذاتها تحاول أو تسعى إلى تحويل الفلسفة إلى نظرية اجتماعية تأملية » [1]بمعنى أنها تحاول فصل الفلسفة عن باقي الميادين العلمية الأخرى بمعنى أي استبعاد أي نوع من التقارب الذي قد يحصل بين الفلسفة و العلوم الإنسانية .
- « تحليل الثقافة هي مجال الوجود الحقيقي و الجوهري للإنسان كما أنها ترى المثقفين هم وحدهم الذين يستطيعون أن يكشفوا بطريقة واعية عن القوى السلبية المتناقضة التي تعمل في المجتمع .
- الدعوة إلى تحرير الطبقة العاملة في المجتمعات الصناعية التي فقدت إمكاناتها الثورية بسبب مجموعة من التغيرات الداخلية و العوامل الخارجية »[2]

(فالعامل هنا هو العنصر الضعيف في معادلة طرفها كل من صاحب الاستغلال و الفوارق الطبقية و الاغتراب , بمعنى أنه على قدر ما يبذل العامل من جهد فكري و عضلي على قدر ما يفقد قيمته و يتضخم رأس المال).

[1]) المرجع السابق ص 12 .

2) توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت , تر :سعد هجرس , دار أويا للطباعة و النشر و التوزيع , طرابلس , ط1, 1998 , ص 37.

- « عدم مشاطرة تفاؤل الأحزاب الاشتراكية و الثورية السائدة آنذاك التي كانت ترى أن يوم الخلاص قريب و لا سيما أنها لاحظت أن الأسير يحمل بمعنى من المعاني ثقافة الجلاد.
- لا تحفل النزعة العلمية إلا بالتجربة الخالصة و المحضة ووحده التجريب الذي تقوم به العلوم الجهة يستحق المعرفة .

المجتمع يحفل بالتناقض و إن كانت إمكانية معرفته معرفة دقيقة .غير أنه لا يمكن التجاهل في نفس الوقت عقلانيته و عدم عقلانيته لأنه نظام صارم بالشكل نفسه الذي هو في غاية الضعف بحيث أنه يخضع للطبيعة العمياء و أحيانا أخرى للوعي ,و غالبا ما توجه فيه عناصر غير متزامنة و عنيفة »[1].

[1]) المرجع السابق ص 37.

الفصل الثاني

أبعاد النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر

المبحث 01 :النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر

المبحث 02 : التشيؤ عند ماكس هوركهايمر

المبحث 03 :مقاربة نقدية للعقل التنويري عند ماكس هوركهايمر

المبحث 04 : مسألة التقنية عند ماكس هوركهايمر

المبحث 01 : النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر

يتجلى الإسهام الكبير لهوركهايمر في نشأة المدرسة النقدية من خلال الدرس الافتتاحي الذي قدمه بمناسبة توليه مهام مركز البحوث الاجتماعية بمعنى أصح مديرا للمعهد و الذي كان عنوانه :" الوضعية الراهنة للفلسفة الاجتماعية و مهام مركز البحوث الاجتماعية " و هي بمثابة البيان التأسيسي للنظرية النقدية و من هنا نستطيع القول أن التبلور الفكري الحقيقي لمدرسة فرانكفورت قد بدأ مع رئيسها السوسيولوجي الألماني هوركهايمر بحيث استطاع أن يضع نظرية فكرية نقدية في رؤيتها التحليلية , و نجده قد تم عرض هذه النظرية بأكبر قدر من الوضوح في مقال له نشر عام 1937 كما سلفنا الذكر تحت عنوان : " النظرية التقليدية و النظرية النقدية "

« إن مدرسة فرانكفورت ترتبط ربطا وثيقا بين الفلسفة و الواقع الاجتماعي و ترى أن تردي الواقع الاجتماعي و استلاب الإنسان و فقدان حريته ,بل و تشيئه و يعود انفصام هذه العلاقة أي إلى استقلال التفكير الفلسفي كتفكير نظري بذاته عن الممارسة الاجتماعية و لا يمكن إصلاح هذا التردي و تحرير الإنسان في المجتمعات الغربية المعاصرة من كل أشكال الاستغلال و السيطرة التي فرضها عليه المشروع التنويري .»[1]

1) ابراهيم الحيدري :النظرية النقدية و دياليكتيك عصر التنوير ,دراسات عربية ,العددان 9 ,10 مارس , جوان ,جويلية , أوت 1989, ,ص111.

– فمدرسة فرانكفورت قد وجدت نفسها تضطلع بمهمة رئيسية و تمثلت في ممارسة نمط من النقد الفلسفي بحيث ينصب أساسا على الوضع الاجتماعي قصد تغييره و تجاوزه ,لذا نجد أن هوركهايمر وجه انتقاداته الحادة للمجتمعات المعاصرة و تحديدا للمجتمعات المتقدمة صناعيا.

و هاته المجتمعات المتقدمة نجدها قائمة على السيطرة , و بالتالي فإن النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت هي ليست نظرية فلسفية خالصة و لا هي نظرية اجتماعية خالصة , بل لها إسهامات فلسفية و نقدية و لقد بينت أبرزها عند هوركهايمر.

« لقد وجه الرعيل الأول لمدرسة فرانكفورت انتقاداته الحادة إلى النزعة العلمية المفرطة و أنساقها التي تحولت إلى أيديولوجيات تستند إلى يقين معرفي و معتقدات إيمانية , فكلها في نظرهم قد غدت أنظمة معرفية مغلقة تعتمد أشكالا تنظيمية جد مقننة للحياة الاجتماعية , و حمالة قيم و سلوكات تنافح و تدافع عنها من خلال إسقاط فهم الظواهر الطبيعية على الظواهر الاجتماعية بمعنى أنها ايديولوجيات شمولية تنظم علاقة علاقة الإنسان بالإنسان و الإنسان بالأشياء »[1]

و هذا يعني ان مدرسة فرانكفورت تؤكد أن مشروع التنوير قد تأسس على هذا المنظور الوضعي الذي دافع عنه الكثير من علماء الاجتماع و الفلاسفة من بينهم أوغست كونت في فرنسا و هاربرت في إنجلترا و بالتالي فهو منظور يقوم على تحليل الأحداث الإنسانية تحليلا تجريبيا خالصا .

[1]) حسن مصدق : يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت ,مرجع سابق , ص35 .

« إن مطالبة النزعة الوضعية بالتعامل مع ظواهر المجتمع بنفس الكيفية التي يتعامل بها مع ظواهر الطبيعة فيه تجاهل للاختلافات الجوهرية الموجودة بين الظاهرتين : الطبيعية و الإجتماعية , الأمر الذي حدا برواد مدرسة فرانكفورت للوقوف جنبا إلى جنب لمعارضة الوضعية التجريبية و النزعة التقنوعلمية الجامحة في حدود عواقبها و آثارها الاجتماعية و الثقافية .» [1]

« و نجد أن ما قامت عليه النزعة الوضعية منذ أوغست كونت كان يقول بإمكانية دراسة المجتمع بنفس الأساليب و الطرق و الخطوات المنهجية التي تدرس بها العلوم الطبيعية , و هذا حتى يحقق علم الاجتماع تقدما معرفيا و نتائج علمية و يصل إلى القوانين التي تحكم المجتمع »[2]

إذن هذا التصور الوضعي واجه نقد حاد من طرف رواد الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت , و أخص بالذكر هنا هوركهايمر . « إن هوركهايمر رأى بأن الفلسفة الاجتماعية المعاصرة بأشكالها المتنوعة قد عارضت الاتجاه الوضعي الذي بدوره ينزع إلى تجريد الإنسان من صفاته الإنسانية و إلى رؤية الحياة الإنسانية بمصطلحات علمية و حسب , و حاولت أن تنقد الفرد من اختيار الحياة على أنها مجرد خليط اعتباطي » .[3]

إذ في نظر هوركهايمر يمر أن النزعة الوضعية و البراجماتية قد ألحتا الضرر بالعقل الأداتي أو التقني , و بالتالي فقد أصبح التقدم الفكري يعني تقدما صناعيا , و لقد إنفصلت

1) نورالدين بوزار :الفلسفة و العلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت ,ماكس هوركهايمر و ثيودورأودورنو– نمذجا–مرجع سابق ص100.

2)حسن مصدق : يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت ,مرجع سابق ,ص ص 37 38.

3) آلن هو :النظرية النقدية , مدرسة فرانكفورت ,مرجع سابق, ص 37.

المفاهيم و التصورات عن مصدرها العقلي و لم يعد العقل هو قانونها ولا عادات قادرة على تحقيق أهداف الحياة .« العدالة و الحرية لا يمكن لهما أن يتحققا بالوضعية العلمية , التي سلبت العقل كل علاقة بهما و لم تهتم إلا بالوقائع و أصبحت خادمة لأدوات الإنتاج الموجودة و انفصلت عن السياق الاجتماعي فلم تثمر غير الاغتراب »[1].

و يمكننا القول أن هذه الرؤية الاجتماعية كرّست الأمر الواقع و لم تمّكن الإنسان من الكشف عن تناقضاته و بالتالي فهي تقف من النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت موقفا مناقضا .

و رفض أقطاب المدرسة النقدية الفرانكفونية النظر إلى الوجود الإنساني كمجرد تجربة في المختبر , فوسط كل هذا الهوس التجريبي هناك صعوبة كبرى تتمثل في إدماج الإنسان و تكيفه مع محيطه مخافة من الزوال و الاندثار و الموت المحقق .

« نجد ماكس هوركهايمر يمر في مقاله الشهير : النظرية التقليدية و النظرية النقدية » سنة 1937 ينتقد فيه الوضعية بوصفها فلسفة للعلم و خاصة في شكل الوضعية المنطقية أو الإمبريقة المنطقية لدائرة فيينا و نقده هذا موجه أساسا ضد كل الاتجاهات العلمية التي تقلل من شأن الفلسفة و تُعلي من شأن المنهج العلمي , بحيث يصير شاملا للعلوم الطبيعية و الإجتماعية معا » [2] .

[1]) المرجع السابق ص 38 .

[2]) توم بوتومور :مدرسة فرانكفورت ,مرجع سابق ,ص62.

و من هنا فالوضعية في تصور فلاسفة مدرسة فرانكفورت هي نهج غير ملائم و مضلل لا يحقق فهما حقيقيا للحياة الاجتماعية و تعرضت النزعة الوضعية إلى انتقادات كونها ترتبط بشكل حميمي مع إبقاء و إنتاج شكل جديد من الهيمنة و هي هيمنة التقنية .

« إذن فنقد النظرية النقدية للوضعية تمثل في أنه هنالك نوعا من الارتباط بين الاتجاه الوضعي و بين قبول ما هو قائم أو بعبارة أخرى أنهم يربطون الاتجاه السياسي المحافظ , الثماهي بين الاتجاه الوضعي و الاجتماعي المنتظر على عكس النظرية التي يصوغها الفكر النقدي , لا تعمل في خدمة واقع معطى سلفا , بل تميط اللثام عن وجهه الخلفي فقط » [1] .

إذن مهما كانت المحاولات في كل لحظة من الدقة هي الكشف عما تنطوي عليه هاته النظرية من خطأ و تعتيم فإن التوجه العام لهذه المحاولة قد بدأ بالنشاط الفكري الذي يقتضيها و لا يمكن أن يؤكده مجرد الحس السليم و لا أن يقوم على العادة

« فالكشف عن التناقضات التي ينطوي عليها الواقع الاجتماعي و العمل على تجاوزها و إحداث التغيير الاجتماعي الذي يمكن الإنسان من الإنعتاق و التحرر من مختلف القيود التي فرضتها المنظومة الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية على الفرد داخل المجتمعات الغربية المعاصرة , هو الهدف الرئيسي للنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت » [2] .

1) ماكس هوركهايمر :النظرية التقليدية و النظرية النقدية ,تر:مصطفى الناوي ,دار العيون ,المقالات ,الطبعة الأولى ,1989 ,ص15.

2) المرجع نفسه , ص 16

و يرى هوركهايمر أن الوضعية تبنت مناهج العلوم الطبيعية لتصل إلى قضاياها التفسيرية , و لقد وضعت الأسباب الاجتماعية بوصفها أسباب خارجية على نطاق العلم و المعرفة . « و على النقيض تمام من توجه النظرية النقدية التي بدورها ترتكز على دراسة الإنسان بوصفه وحدة التحليل و الدراسة فالمواقف الاجتماعية لا يمكن النظر إليها بصورة سطحية أو اعتبارها مادة علمية يمكن التحقق من صدقها في ضوء قوانين الاحتمال .فالفلسفة الوضعية ماهي إلا تعبير عن العقل الأداتي و لا يمكنها أن توصل إلى الحقيقة أو القيمة أو حتى العقل الحقيقي بمعنى العقل النقدي » [1] .

فالهدف الأساسي في نظر هوركهايمر للنظرية النقدية هو أن تسهم في تحقيق نوع من إعادة بناء هذا المجتمع و بحيث يصبح أكثر إشباعا و خاليا من ضروب الاستغلال في العلاقات بين الناس و عليه فإنها تعتبر عملية تضع الإنسان على رأس كل نشاط اجتماعي و تجعله هو محور تطور المجتمع البشري , لأنه هو الكائن الواعي بذاته و القادر على إدارة أموره بنفسه.

1) نورالدين بوزار :الفلسفة و العلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت ,ماكس هوركهايمر و ثيودور أدورنو–نموذجا–مرجع سابق ’ص112.

المبحث الثاني : التشيؤ عند ماكس هوركهايمر

– « عمل هوركهايمر من خلال مقاربته لمفهوم التشيؤ على تجاوز التفسير الأحادي الذي قدمه لوكاش , و هذا ما دفع هوركهايمر إلى نقد المقاربة اللوكاشية من خلال إعادة النظر في الطابع الميكانيكي للعلاقة الموجودة بين القاعدة المادية أو الاقتصادية و مختلف أشكال الوعي و البحث عن أبعاد جديدة للتشيؤ» [1].

فلقد انشقت ظاهرة التشيؤ من تعميم البنية التجارية السائدة في المجتمعات الرأسمالية حيث نتج عن ذلك استبعاد الطابع الإنساني عن العلاقات بين البشر لصالح تشيؤ شامل و متزايد.

فعلى الإنسان أن يتحكم في الأشياء المحيطة به من المصانع و البنوك حتى لا تتغير هذه الأشياء و تتحكم في حياة البشر و بدلا مما كان يفعله الإنسان في العصور القديمة , حيث كان يحاول تعديل الطبيعة من حوله لتتفق مع حاجاته و أصبح الإنسان يحاول أن يوائم نفسه مع الأشياء المحيطة به , و من ثم أصبحت الأشياء هي التي تضع حياة الإنسان وتضيعها و ليس العكس .

و هذا يعني أن التشيؤ يحول العلاقات الإنسانية في ظل هيمنة النظام الاقتصادي الرأسمالي إلى أشياء جامدة و خاضعة لمنطق التبادل التجاري بالصورة التي يتحول فيها البشر إلى سلع و بضائع , بحيث يخضعون لقوى و أشياء خارجة عن إرادتهم .

[1]) دولتان تاز :النظرية الاجتماعية و نقد المجتمع ,دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية ,(د ط) ,(د ,س) ص 161.

و يظهر العالم الإجتماعي على هيئة عالم من الأشياء , بحيث يبدو وكأنه مستقل عن العقل الاجتماعي , شأنه في ذلك شأن استقلال قوانين الطبيعة عن ظواهرها .

« و هكذا فإن التشيؤ لا يؤثر على الإنسان كذات فقط و إنما يؤثر أيضا في شبكة العلاقات الاجتماعية وفي كل مجالات الحياة الإنسانية لأن البنية التجارية تثير الإنسان ضد نفسه من خلال الوهم بالفعالية المتعلقة بمفهوم العمل نفسه , من حيث أنه يصبح ضمن هذه الظروف مستقلا بقوانينه كشئ موضوعي مستقل عنه و يسيطر عليه بقوانين خاصة غريبة عن الإنسان و إن هذا يحدث على الصعيد الموضوعي و الذاتي » [1] .

و بالتالي فإن التشيؤ قد حول الإنسان إلى آلة و ذلك بالقضاء على الروح البشرية و الذات الإنسانية و السبب الوحيد في هذا يعود إلى التكنولوجيا و العلم و التطور و التقدم الذي سيطر على الإنسان و أصبح يتحكم به في شتى المجالات و الأنسان أصبح لعبة في يد هذا التطور .

[1]) المرجع السابق ,ص161.

المبحث الثالث : مقارنة نقدية للعقل التنويري عند هوركهايمر

« لقد قامت النظرية النقدية للعقل التنويري منذ نشأتها في الثلاثينيات من القرن 20 بنقد جذري لمشروع التنوير بما هو رمز العدالة الغربية هذا ما يظهر بصورة جلية في جدل التنوير الذي كتب بالتشارك بين ماكس هوركهايمر و زميله ثيودور أدورنو.

جدل التنوير ظهر في سياق تاريخي متميز عرفته المجتمعات الغربية في تلك الفترة بعد صعود النظم السياسية الشمولية , كالنازية و الفاشية و جو الحرب التي شهدتها أوربا في اللحظة التاريخية و هو الامر الذي نجد له انعكاسا و أثر في كتاب جدل التنوير »[1].

لقد انطلق هوركهايمر من مشروع عصر التنوير بما هو لحظة تأسيسية للحداثة الغربية , حيث نجد أن أهم الأسس التي قام عليها هذا المشروع هي العقل و الحرية و العدالة و احترام كرامة الإنسان و حقوقه , و فكرة التقدم الإنساني و هذا قصد التخلص من الظلم الذي عانى منه الإنسان و السيطرة التي سادت في المؤسسات الدينية و السياسية في أوربا .

يبدو أن مشروع التنوير أصبح غير قادر على تحقيق المبادئ و القيم الإنسانية حيث أصبح هذا المشروع غير قادر على تحرير الإنسان من مختلف أشكال السيطرة التي أصبحت تهدد و جوده

1) فيل سليتر :مدرسة فرانكفورت نشأتها و مغزاها , وجهة نظر ماركسية ,تر:خليل كلفت ,درا المجلس الأعلى للثقافة القاهرة , طبعة1 , 2000 ,ص104

و هنا نطرح هذا التساؤل كيف تحول التنوير إلى أسطورة , و بعبارة أخرى نفسر تدمير العقل التنويري لنفسه بحيث أصبحت الإنسانية تعيش في حالة جديدة من البربرية .

يجيب هوركهايمر بأن ذلك تم عندما تحول العقل إلى أداة للسيطرة على الطبيعة ثم على الإنسان و المقصود بالعقل هنا العقل الأداتي أو التقني .

فالفكر الذي أصبح بمثابة آلة رياضية إنما يتضمن تكريسا للعالم بوصفه إجراءا خاصا , فإن إخضاع كل حقيقة واقعة إلى الشكلانية المنطقية التي تبدو كما لو كانت عقلانية ذاتية إنما تكتسب بفضل خضوع العقل الهادئ لما هو معطى مباشر .

و هكذا فقد تبلورت هذه العقلانية الأداتية (التقنية) حسب ماكس هوركهايمر مع الثورة العلمية الحديثة التي عرفتها أوروبا .

« وعلى هذا الأساس فإن النزعة الوصفية حددت دور العقل او وظيفته :

1) معرفة ماهو معطى بوصفه كذلك , و لهذا نادت بالوقوف عند حد الملاحظة و التجريب و تصنيف الوقائع وفق المقولات الكمية و الصور المنطقية قصد الوصول إلى صياغة القوانين.

2) اعتبار الرياضيات آلة أو جهاز مفاهيميا أو نسقا يفسر ما هو معطى إلى درجة أن كل مالا يتطابق مع معايير الحساب و الكم و التقنين هو امر مشبوه من جانب التنوير و في صيغته المتطرفة »[1].

[1]) كمال بومنير :النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيت , مرجع سابق ,ص14.

لقد كان لهذه النظرة الأحادية للعقل نتيجة حتمية و هي السيطرة على كل شيء بما فيه الإنسان , فمع تشيؤ العقل تصبح العلاقات بين الإنسان و ذاته و بين الناس علاقات تخضع للمنفعة و التحكم .

و هكذا نجح العقل الأداتي في تشيؤ الإنسان , و استغله من قبل المؤسسات الاقتصادية و السياسية و أجهزتها الإيديولوجية القائمة على تكريس المصلحة و الهيمنة بصورها المختلفة , فالعقل عندما استخدم هذا الاستخدام الأحادي نظر إلى موضوعاته نظرة أحادية هي نظرة السيد للمسوّد, فنتج عن ذلك اغتراب الموضوع عن الذات و اغتراب الذات عن الموضوع و ترجمة العقلانية إلى نظم شمولية و تسلطية بدورها , و هذا ما حدث فعلا في المجتمعات الغربية التي عرفت تقدما تقنيا و لكنها وقعت فريسة النازية و الفاشية الستالنية .

فنجد أن مشروع التنوير الذي جاء قصد تحرير الإنسان من الخرافة و السحر و المعتقدات الفاسدة , و الخوف و الأسطورة تحول إلى النقيض و استسلم إلى أساطير من نوع جديد و هي أزمة و من مظاهرها سماها هوركهايمر بجدلية التنوير و الأسطورة أو العقل و اللاعقل , و هذا فإن العقل الذي رفض الأسطورة و جاء لتحرير الإنسان أصبح أداة قابلة للتكميم و القياس يمكن التحكم فيها علميا و تقنيا .

فحسب هوركهايمر أن اللحظتين الأساسيتين في تكوين ميدان العقلانية أو الحداثة الغربية و هما قيمة و مكانة الشخص المستقل بذاته , أصبح من المستحيل الجمع بينهما و هكذا فإن

وعود التنوير لم يعد من الممكن تحقيقها في ظل العقلانية لا سيما و أن العقلانية أصبحت اليوم أداتية.

« و بهذا المعنى ارتد العقل و حطم نفسه و تحول إلى الأسطورة أي اللاعقل و هذا ما أشار إليه هوركهايمر يقوله « كما أن الأساطير قد أكملت التنوير , فإن هذا التنوير قد ارتبك أكثر فأكثر في الأساطير , استقى التنوير جوهر مادته من الأساطير مع أنه كان يريد القضاء عليها و حيث مارس وظيفة الحكم ظل واقفا أسير سحرها » [1] .

و قد تولدت عن جدلية التنوير و الأسطورة أو العقل و اللاعقل بعض التناقضات , أهمها نذكر التصادم بين الموقف الذي يجعل العقل مرادفا للتقدم و الموقف المناقض له الذي يعتبر العقل متماهيا مع الانحطاط أو التراجع , فالعقل عند هوركهايمر عو بالمعنى الواسع تعبير عن فكرة التقدم و هدفه تحرير الإنسان من الخوف و جعله سيدا.

و هذا يعني أن التقدم لا يمكن تحقيقه و تجسيده في أرض الواقع إلا عن طريق التخلي عن الخرافات و الإلتزام المبدئي بالعقلنة.

« و هذا في حقيقة الأمر ما عبر عنه احد أقطاب الفكر التنويري و هو إيمانويل كانط في ما هي الأنوار بقوله :« إن بلوغ الأنوار هو خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه , و الذي يعني عجزه عن استعمال عقله دون ارشاد الغير »[2] .

[1]) فيل سليتر : مدرسة فرانكفورت نشأتها و مغزاها وجهة نظر ماركسية ,مرجع سابق , ص106.

[2]) ماكس هوركهايمر ,ثيودور أدورنو:جدل التنوير ,مرجع سابق ,ص32.

و هذا يعني أن الإنسان مسؤول عن حالة القصور عندما يكون السبب في ذلك ليس نقصا في العقل , بل نقصا في الحزم و الشجاعة في استعماله دون إرشاد الغير.

و هكذا فإننا نجد نقد التنوير واضحا و ذلك من خلال إظهار التأثير العميق الذي مارسته العقلانية الأداتية على مسار الحضارة الغربية , حيث أصبحت تمثل تسلطا على الطبيعة و الإنسان بطريقة علمية و طبيعي أن يكون التشيؤ و الاغتراب و السيطرة الذي يطبع هذه الحضارة من أهم المقولات التي أكد عليها هوركهايمر على اعتبار ان الحضارة الغربية إذا بقيت سجينة هذه المقولات لا تساعد على تحقيق حرية و سعادة الإنسان بقدر ما تعمل على استلابه و إخضاعه باستمرار .

و على الرغم من ذلك فإن هوركهايمر لم يكن موقفه النقدي من العقلانية الأداتية ذريعة لترك مشروع التنوير لأن هذا الموقف النقدي كان موجها في الأساس إلى التحريف المستمر لقيم التنوير و إلى تلك السلبيات التي ظهرت في مسار الحضارة الغربية.

« نجد أن مدرسة فرانكفورت بأقطابها و خصوبة عطائها , تمثل نمزذجا حيا للفكر النقدي الجدي الذي لا يرحم و لا يخشى نتائجه الخاصة » [1].

لقد واجه أنصارالنظرية النقدية النزعات العلماوية و الوضعية لان هذه الأخيرة أعلت من شأن التقنية لخدمة مصالح و منافع معينة

[1]) ماكس هوركهايمر :النظرية التقليدية و النظرية النقدية ,مرجع سابق ,ص 4.

« لقد كان هدف هوركهايمر هو بيان الخوف الكامن في الإنسان الغربي و ارتداده المستمر إلى اللاعقلانية و الأسطورة إلى حلول باستمرار و في كل مرة التنصل منهما طوال تاريخه الحضاري لذلك يكون هذا الإنسان واهما حيث يعتقد أنه بواسطة معرفته العلمية و ما ارتبط بهذه المعرفة من تقدم تكنولوجي و ما انتجه من وسائل و أدوات و أجهزة ز ما انجر عنها من هيمنة كلية على الطبيعة أنه تحرر فعلا من خوفه البدائي و تجرد من الأسطورة و اللاعقل , بل هو يرتد إليهما باستمرار .»[1]

من خلال ما تقدم نجد أن هوركهايمر قد أفلح في هذا التنوير و عقلانيته التي أخذت طابعا أذاتيا.

[1]) كمال بومنير : النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيت ,مرجع سابق , ص 22.

المبحث الرابع :مسألة التقنية عند ماكس هوركهايمر

« إن التقنية في نظرهم ليست ذلك الجانب التطبيقي العملي من المعرفة العلمية بل هذه المعرفة نفسها هي في جوهرها تقنية ,و إذا كانت هذه الأخيرة قد مثلت في الماضي ذلك الجانب التطبيقي و العملي الذي حققه الإنسان , فذلك لم يعد يقبل اليوم , حيث تطورت المعرفة العلمية و أصبحت ذات طابع تقني أداتي »[1].

إذن فالتقنية هي ما نطلق نحن عليه اليوم بتقنية الأزمة الجديدة ليس فقط أداة أو وسيلة يمكن أن يكون الإنسان اليوم سيدها أو ذاتها الفاعلة , و قبل ذلك نرى أن هذه التقنية هي نمط تأويل العالم تم إقراره من قبل نمط وسائل المواصلات و التزويد بالمواد الغذائية و صناعة المسليات بل يحدد كل موقف للإنسان في إمكانياته الخاصة ,أي أنه نمط بسم بميسمه كل قدراته على التجهيز , وهذا ما يجعل التقنية غير قابلة للخضوع و التحكم فيها إلا عندما نخضع لها بدون شرط و بدون قيد.

و هذا يعني أن التقنية ليست أداة في متناول الإنسان المعاصر , بل أصبحت هي نفسها تستحوذ و تسيطر عليه و لم يعد الإنسان قادر على الانفلات من حتميتها و ضروريتها .

و نرى أن التقنية قد سببت للإنسان التيه و عدم الإستقرار و اعتبرته مجرد دمية و حولته إلى مجرد موظف للتقنية.

[1]) كمال بومنير :النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيت ,مرجع سابق ,ص53.

و هكذا فإن التقنية تشكل تهديدا يثقل كاهل الإنسان ,و هذا ما يدعونا للتفكير في عالمنا هذا التقني و هذا التهديد لا يأتي بالدرجة الأولى من آلات و أدوات و إنما في ذلك الحسابي و النفعي من التفكير الذي يقوم على فكرة الذات بوصفها قدرات و فعاليات لها ما يمكنها التحكم و السيطرة على كل الأشياء و الظواهر .

« فهوركهايمر يرى أن التقنية قد أصبحت في المجتمعات الغربية المعاصرة جوهر و أساس المعرفة العلمية»[1], إذ لم تعد ترمي إلى إنشاء مفاهيم و تصورات نظرية مثلما كان الشأن بالنية إلى العلم القديم بل للأداء الوظيفي و للمنهجية الفاعلة لتحقيق نجاحات علمية و هذا الطابع الأداتي هم ما أصبح يميز العقلانية الغربية التي شكلت بنيتها الأساسية منذ عصر التنوير و الذي يسميها هوركهايمر بالعقلانية الاذاتية , أو العقلانية التقنية و هي العقلانية التي تلتزم على المستوى الشكلي بالإجراءات دون هدف أو غاية , أي التي توظف الوسائل دون تساؤل عن مضمون الغايات , فغرضها الأساسي عملي و نفعي , وهكذا فالتقنية عوض أن تكون أداة بيد الإنسان المعاصر لتحقيق حريته و سعادته أصبحت توظف لما يمكن أن يسبب تعاسته و شقاءه كالحروب و التلوث .

إن التقنية هي أساس العلم و المعرفة و هي لا تهدف إلى إيجاد مفاهيم أو صور أو سعادة المعرفة ' بل لإقامة منهج و استثمار عمل الغير و تكوين رأس المال ·

[1]) هيدوغر :التصورات الأساسية ,تر:محمد سبيلة و عبد السلام بن عبد العالي ,دار توبقال ,طبعة 1, 1996,ص47.

« و بالتالي فإن الاكتشافات العديدة التي يحتفظ بها العلم ليست بحد ذاتها إلى أدوات , الراديو ,بوصفها صحافة مكتوبة متامية , الطائرة القتالية بوصفها أداة حربية أشد فعالية , القيادة عن بعد , بوصلة يعتمد عليها بدقة »[1] يريد الناس أن يتعلموا من الطبيعة كيفية استخدامها بهدف السيطرة عليها كليا ,ذلك هو الشيء الوحيد الذي يحسب حسابه دون التفات إلى ذاته , فإن التنوير قد أفنى وعيه بدأته وصولا حتى الأثر الأخير .

« إن التقنية نفسها هي بمثابة ميتافيزتها جديدة أي ميتافيزيقا الذاتية التي ارتبطت بإرادة القوة و الهيمنة , فالتقنية قد أثرث تأثيرا سلبيا على المجتمعات المتقدمة صناعيا , حيث أن تقدم التقنية المذهل أدى إلى تغيرات عميقة في حياة الإنسان المعاصر , انطلاقا من هذا يمكننا القول أن التقنية هي على الدوام مشروع اجتماعي تاريخي غرضه تحقيق السيطرة ».[2]

– و كان هدف هوركهايمر هو ابراز و كشف آليات السيطرة التي تتم في ظل هيمنة التقنية التي أصبحت في عصرنا تحدد مسار التطور التاريخي للمجتمعات القائمة و التي عرفت تقدما مذهلا في هذا المجال , غير أن الكشف عن هذه الآليات مرهون بضرورة الارتكاز على الواقع الملموس الذي تعيشه هذه المجتمعات , أو بعبارة أخرى أصبح من الضروري ربط مسألة التقنية بجملة الشروط الاجتماعية و الاقتصادية و التاريخية , إذ لم يعد من الممكن فضلها على هذه الشروط .

[1]) المرجع السابق ص 49 .

[2]) كمال بومنير : النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيت ,مرجع سابق , ص62.

– و بصورة عامة يمكننا القول إن التصور الذي مؤداه أن التقنية أو العقلانية التقنية , في المجتمعات الغربية المعاصرة بمثابة مشروع كوني للسيطرة يهدد الوجود الإنساني.

الفصل الثالث

النظرية النقدية في الميزان

المبحث 01 : إعادة بناء هابرماس للنظرية النقدية

المبحث 02 : النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر :مزايا و مؤاخدات

المبحث الأول : إعادة بناء هابرماس للنظرية النقدية

تمهيد:

لقد حاول هوركهايمر أن يبين سلبيات العقل الآداتي الذي أنتج عنه سيطرة جديدة باسم العلم و العقل , غير أن النظرية النقدية مع هابرماس الممثل الرئيسي للجيل الثاني : لم يتفق تماما مع سابقيه (هوركهايمر و أدورنو) خاصة أنه حاول إعادة بعث مشروع الحداثة المستند إلى التنوير بإعتباره مشروعا لم يستنفد كل وسائله و قد شكلت النظرية النقدية الأساس الفكري لمشروع هابرماس الحداتي , وقد كانت مدرسة فرانكفورت هو الإسم الذي إشتهرت من خلاله , حيث إستطاع أن يخلص لنقد الفلسفي و بهذا أعطى لتنويره دلالة إيجابية فعاله و عليه يمكننا طرح التساؤل التالي : هل يمكننا القول أن النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت قد عرفت ولادة جديدة مع هابرماس ؟ حتى يصبح ممكنا تسميتها بالنظرية النقدية الثانية في مقابل النظرية النقدية للجيل الأول ؟

لا تشتغل النظرية النقدية لهابرماس بالتحليل على مستوى الأنساق بقدر اهتمامها بالتفاعل الرمزي المشكل عبر اللغة و ذلك إستناذا إلى حقيقة مهمة هي أنه على الفرد أن يستوعب أدوار الأخرين بل و عليه أن يتفاعل معهم لأن المعنى هو موضوع خاضع للتفاوض و التداول بين الأفراد.

«إذن هذا التعديل الذي أجراه هابرماس على النظرية النقدية يجعله قائد حركة التحول اللغوي و يرى أن ذلك لن يقوده إلى التخلي عن الأمل في تحقيق المعرفة النقدية او الأخلاق العلمية , بل بالأحرى يمكن أن نجد في فلسفة اللغة أو ربما اللغة في ذاتها المعايير لمثل تلك المعرفة و الأخلاق».[1]

و منه فإن نظرية هابرماس النقدية تعد هي بمثابة أخلاق جديدة للنقاش و الحوار من أجل التواصل و خلق التفاعل في المجتمع لتحقيق المعرفة وفق مبدأ خلقي قائم على أساس خلقية.

« و هو الأمر الذي نلمسه في أعمال هابرماس الأخيرة و بصفة خاصة في نظرية الفعل التواصلي من خلال توجهه إلى فلسفة اللغة ة ذلك إبتغاء توسيع أسس النظرية النقدية»[2]

إن «العلم والتقنية كإيديولوجيا» 1979 هو أول كتاب أعطى شهرة عالمية لهابرماس , حيث بين فيه أن الإنسان أصبح يشهد تطورا واضحا في البلدان الرأسمالية الأكثر تقدما و ذلك من خلال إرتباط العقلية المتقدمة للمجتمع بأسسه النقدي العلمي و التقني من خلال اختراق العلم و التقنية لمجالات المجتمع , حيث ظهر تطور واضح للبحوث و التقنية و تطور التكنولوجيا و أصبح العلم أساس في التبادل « حيث يرى هابرماس أن الرأسمالية الحديثة أصبحت تتميز بهيمنة الدول على الإقتصاد و على المجالات الأخرى للحياة الإجتماعية و أن شؤون الحياة العامة لم يعد ينظر إليها بإعتبارها مجالا لنقاش و الإختبار , بل بإعتبارها مشكلات تقنية تحل بواسطة خبراء يستخدمون في علمهم عقلانية ذاتية»[3]

1) أيان كريب : النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابر مارس ,تر:محمد حسين غلوم ,مراجعة محمد عصفور, عالم المعرفة ,العدد 244,افريل,الكويت ,1999 , ص346.

2) المرجع نفسه ,ص349.

3)أيان كريب : النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابر مارس ,تر:محمد حسين غلوم ,مراجعة محمد عصفور, عالم المعرفة ,سلسلة كتب ثقافية شهرية ,الكويت 'العدد240, 1978 , ص314.

إن الواقع الجديد يثبت أن الإنسان أصبح مسيطر عليه لدرجة تفويض الكمبيوتر بالقيام بدور الشأن العام بدلا من التنظيمات الإجتماعية , ووضح هابرماس أن العلم اليوم فاقم مشكلات الإنسان قائلا : « و يظهر لي جليا بأن العلم كمثل هذا ETHOS لا يمكنه تقديم أي شيء , و بأن تجديد الوعي الأخلاقي لا يمكن أن ينتج عن طريق المناقشات العلمية »[1] . إذن من خلال المشاكل التي طرأت على حياة الإنسان بسبب تطور العلم و التكنولوجيا حيث أصبح إيديولوجيا متحكمة في المجتمع , إذ أصبح المجتمع في هيئة آلة , و عليه فإن الوضعية بصفة عامة عاجزة عن تحقيق الفهم الصحيح للحياة الاجتماعية فالتكنولوجيا تُنشأ بالضرورة شكل من التسلط على البشر.

« ولقد اقتفى كذلك هابرماس الخط الفلسفي النقدي نفسه الذي تأسس على يد فلاسفة مدرسة فرانكفورت الكبار , وذلك عبر استيعابه لفلسفاتهم ثم السير بالنظرية النقدية داخل ميادين جديدة لم يطالها البحث النقدي من قبل.

لقد كوّن هابرماس تأسيسه الفلسفي الضخم بدراسته الموسعة للأصول الفلسفية بكل تياراتها لينتهي إلى دراسة استيعابية كاملة للفلسفة الألمانية و تاريخها ثم لمحاور الموضوعات الأساسية و جوهريتها التي شغلت بناءاتها الرئيسية[2]»

1) يورغن هابرماس :جدلية العلمنة العقل و الدين ,تقديم حميد لشهب ,جداول للنشر و التوزيع ,بيروت ,طبعة 1 , 2013, ص 68.

[2])علاء طاهر ,مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس,مركز الانماء القومي ,بيروت طبعة واحد , 2008 ,ص80.

و لقد قارن دراساته الفلسفية بإطلاع موسوعي تخصصي لتيارات علم الاجتماع الكلاسيكي و الحديث و بدراسة معمقة لعلم الاقتصاد و تطور نظرياته و مفاهيمه , ومن هذه القاعدة الفلسفية الاجتماعية نجده شرع ببناء نظريته التي عمقت و أكملت البرنامج النقدي و مشروعه المتشعب لمفكري مدرسة فرانكفورت.

و نجد أن فكر هابرماس تطور على مرحلتين : الأولى نجدها اتسمت بالطابع التحليلي الإبستيمولوجي ' و الثانية يمكننا أن نطلق عليها بالمرحلة التأسيسية , « تحول إذا هابرماس من مفكر يهتم بالموضوعات و الأشياء إلى مفكر يهتم بقضايا التفاهم و التواصل بين الذوات , و ما نود الإشارة إليه هنا هو أن الإشكالية المركزية عنده تبلورت بشكل أساسي في كتبه الأخيرة , و أن الحداثة و التواصل وجّدت صياغتها النظرية في هذه المرحلة اعتمادا على إيقاع ثلاثي الأبعاد و الأفكار ,أولا : بالتفكير في النظرية الاجتماعية و بإعادة بنائها , و ثانيا : بالتفكير في اللغة و التواصل و تعميقها من خلال " تداوليات كلية " و أخيرا : بالتفكير في الوضعية السياسية الاقتصادية و الثقافية للمجتمعات الحديثة».[1]

و من أجل توسيع نظريته النقدية نجده قدم أطروحة صعبة يمكننا أن نجملها في ثلاث مراحل :

1) أفايا محمد نور الدين :الحداثة و التواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة (نموذج هابرماس),افريقيا الشرق –المغرب–الدار البيضاء , طبعة 2,بيروت , 1998 ,ص106.

« الأولى : دعى إلى التحرر و هو ما دعاه « بفلسفة الوعي »التي يعني بها الفلسفة التي ترى العلاقة بين اللغة و الفعل كعلاقة بين الذات و الموضوع و قد حصر رؤية العالم على هذا النحو سيجعلنا أسرى العقل الأداتي »[1] (بحيث أن الذات هي التي تقوم بعمل شيء ما للموضوع) و كذا النزعة التشاؤمية التي خيمت على أدورنو و بطريقة مختلفة على ماكس فيبر فالخلاص و الإنعتاق لا يمكن أن يأتيا من هذا الموقف.

الثانية : لخصها ديفيد راسمين بوضوح على النحو التالي :« يمكن أن يتخد الفعل صورتين , الفعل الإستراتيجي و الفعل التواصلي بحيث أن الأول تضمن الفعل الغائي العقلاني , في حين الثاني هو ذلك الفعل الذي يرمي للوصول إلى الفهم و فعل التواصل هو فعل لا أذاتي »[2]

الثالثة : تتمثل فيما يترتب على إعطاء فعل التواصل الأولوية من امور و التي يوزع هابرماس على أساس نمط الفكر التواصلي.

و بالتالي فإن النظرية عند هابرماس تعتبر نتاج للفعل البشري , و هي تخدم غايات ذلك الفعل و هي بشكل أساسي أداة لتحقيق حرية أكبر للبشر و هي تتطور لعدة مستويات متباينة.

«لقد اتضح أن هابرماس قد أعاد النظر في مفهوم الحداثة نفسه , إذ لم تعد تعني حقبة زمنية مرت بها الإنسانية و انقضت , بل إنها في نظرة لا ترتبط بمرحلة تاريخية معينة و إنما تحدث كلما تجددت العلاقة بالقديم و ثم الوعي بالمرحلة الجديدة , فبقدر ما صارت مشروعا

1)نورالدين بوزار :الفلسفة و العلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت ,ماكس هوركهايمر و ثيودور أدورنو–نموذجا–, مرجع سابق , ص181.

2)المرجع نفسه ,ص 181.

إنسانيا لا زال مستمرا و يتوجب استكماله , و إن كان بالإمكان تحديد بدايته فإن من الصعوبة بما كان تحديد نهايته » [1], إذن فهو بالنسبة لهابرماس مشروع لم يكتمل بعد كما أن التصور الذي قدمه هابرماس للحداثة نجده يختلف عن التصورات التي قدمها سابقوه من الفلاسفة و المعاصرين له.

«ففي مسألة الحداثة هذه نجده يركز على مفهوم العقل التواصلي , إذ يعتبر ان الحداثة لا ترتبط بعملية امتلاك معرفة ما و لكنها تتوقف على الطريقة التي يعتبرها الأشخاص القادرون على الكلام و الفعل عن هذه المعرفة »[2] .

فنجد ان نقد هابرماس للحداثة لم يكن نقدا تشاؤميا سوداويا كما كان عليه الأمر عند فلاسفة الجيل الأول للمدرسة , بل إن هابرماس يعتقد أننا يجب ألا نضحي بالمكاسب التي جلبتها لنا الحداثة , و إن استكمال الحداثة لا يعني هنا فقط قبول كل ما تلقيه علينا من مستجدات , بل التخصص الناقد للإمكانات الثقافية و التكنولوجية و الاقتصادية للعالم الحديث.

« و عليه إذن نجد أن أكسل هونيت بإعتقاده للنظرية التواصلية انها هي محاولة جديدة لبلورة مقاربة قد تسمح فعلا بإمكانية إعادة اكتشاف أهمية و دور البعد الاجتماعي , و لكي يحقق هذا الغرض كان لابد من أن يلتزم على نقد بعض الطروحات التي تضمنها جدل التنوير , و نجد

1) جيمس جوردن فينليسون,يورغن هابرماس (مقمة قصيرة جدا)تر :أحمد محمد الروبي ,مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة , القاهرة ,طبعة1, 2004, ص78

2)المرجع نفسه ,ص97.

أن هابرماس قد بين أنه هنالك معايير أخلاقية (ايتقية) يمكنها أن تؤطر العالم الاجتماعي »[1] و هذا ما سمح لنا بالقول أن نظرية الفعل التواصلي الهابرماسية لم تكن مجرد حدث عابر فقط في تاريخ النظرية النقدية للمدرسة الفرانكفونية بقدر ما مثلث منعطفا جديدا في المسار الفلسفي لهذه النظرية.

«و عليه إذن يمكننا القول أن النظرية النقدية قد عرفت مع هابرماس إصلاحا داخليا , و في حين نجده في فترة الخمسينات كان يقدم أول مقالاته النظرية النقدية على انها نقطة الانطلاق لكنه شعر في منعطف الستينيات بالحاجة إلى التغيير (وظيفتها) كما شهدت على ذلك مقالاته الأولى

" النظرية و الممارسة " و نجد أ، هذا التطور يقوم على إنبثاق مجموعة من الإشكالات المنهجية التي تتطلب تمام النظرية النقدية.» [2]

و من هنا نجد بأن هابرماس بالرغم من الوفاء و الالتزام الذي كان يبديه لرواد المدرسة – هوركهايمر و أدورنو – لم يكن دائما لأنه بدأ يضع لمساته الخاصة في تناول القضايا التي قامت النظرية النقدية بمعالجتها و نجده كذلك قدم لنا تشخيصا تاريخا للوضع الاجتماعي و السياسي و الثقافي مختلف تماما عما قدمه كل من هؤلاء .

[1]) بومنير كمال :قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت ,مؤسسة كنوز الحكمة ,الجزائر , ط1 ,2009,ص85.

2)بول لوران أسون :مدرسة فرانكفورت ,تر:سعاد حرب ,المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع, بيروت , ط1 ,1990,ص50.

المبحث الثاني : النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر :مزايا و مؤاخذات

لقد تناولت النظرية النقدية التوجهات الرأسمالية بالتفويض و التشريح و التفكيك و انتقدت النزعات العلمية و الوضعية التي أهملت الإنسان و الذات و المجتمع و حتى المصلحة الإجتماعية و القيم الأخلاقية و اعتبرت الإنسان موضوعا مشيئًا بمعنى تتحكم فيه الحتميات الجبرية و أنه لا قوة له و لا فاعلية في صنع التاريخ , أو تغيير المجتمع .

« و من ثم فقد جاءت النظرية النقدية لتصحيح أوضاع المجتمع و تغييرها و ذلك عن طريق تعرية المؤسسات الرأسمالية المهيمنة و كذا فضح أوهامها الإيديولوجية , و تطوير المفاهيم الماركسية في ثوب جديد , أو إعادة صياغتها مرة أخرى كما فعل هابرماس , و قد تحققت فعلا قطيعة إيستمولوجية بين النظرية النقدية القديمة و النظرية النقدية الجديدة .»[1]

و يمكننا القول بأن مدرسة فرانكفورت قد مرت بمجموعة من المراحل , فقد انشغلت في الثلاثينيات و الأربعينيات بالاشتراكية الوطنية , و قد اهتمت في الخمسينيات بصناعة الثقافة و اعتنت في الستينيات بالحركات الثورية التحررية لاسيما ثورة الطلبة و الاقليات العرقية , لتهتم في السنوات الأخيرة و بعده (أي فترة السبعينيات) بنظرية المعرفة و إعادة النظر في الكثير من الأراء الماركسية , و بناء أسسها من جديد و صياغة نظرية ماركسية جديدة , و كذا الاعتناء بالقضايا السياسية و المجتمعية في ضوء النظرية النقدية و قد ارتبط علم الاجتماع بالماركسية ووضعت النظرية النقدية إبستومولوجيا بين الفلسفة و العلم و لم تتضح معالم النظرية النقدية

[1]) ابراهيم الحيدري :النظرية النقدية و ديالكتيك عصر التنوير ,دراسات عربية ,مرجع سابق ,ص 115.

لمدرسة فرانكفورت في بداياتها إلا مع ماكس هوركهايمر خاصة في محاضرته الافتتاحية , حيث وضّح أسسها النقدية للواقع الاجتماعي , و ربط بين النظرية و التطبيق كما حاول أن يبين مزاق العقل الغربي الذي حادث عن أهدافه التنويرية التحررية .

إذا وقفنا وقفة تأملية نقدية لأفكار مفكري مدرسة فرانكفورت خاصة هوركهايمر فإننا نجد :

- « اختلاف أرائهم من شخص إلى أخر و كذا اختلاف توجهات مدرسة فرانكفورت لما بعد الحداثة عن المدرسة في فترة الثلاثينيات من القرن العشرين , كما استبعدت المدرسة اهتمامها بالتاريخ و الاقتصاد إلى حد كبير و انحرفت انحرافا كبيرا عن مبادئ الماركسية الكلاسيكية كما عند الجيل الثاني من مفكري معهد فرانكفورت. و لقد هُمشت كذلك النظرية الجديدة مع هابرماس الطبقة العاملة ,باعتبارها أنها طبقة ثورية سياسية فاعلة و مغيرة , لذا قد وصفت مدرسة فرانكفورت بأنها : ماركسية بدون بروليتاريا »[1] . و من هنا يبيدو أن مفهوم مدرسة فرانكفرت عن تدهور أو تلاشي الطبقة العاملة كقوة سياسية , قدم أساسا على فكرة طوباوية و خيالية عن الثورة التي هي بأية حال الطريق الوحيدة ,أو هي الأكثر ماركسية اتصور عملية الثورة الإجتماعية وربما يكون هذا المفهوم قائما أيضا على إنعكاس الخبرة الإستثنائية الأمريكية الناجمة عن غياب طبقة عاملة منظمة سياسيا في المجتمع الأمريكي على فكرهم و لا سيما في حاللة " ماركيوز".

و في هذا الصدد نجد أن توم بوتومور في كتابه « مدرسة فرانكفورت » يقول :

[1]) المرجع السابق ,ص116 .

« و قد أخفقت مدرسة فرانكفورت في الالتزام بالطريقة القاطعة التي اقترحها هوركهايمر للنظرية النقدية , حيث ذكر أنها لا تمتلك المفاهيم و الأدوات التصورية القادرة على سد الفجوة بين الحاضر و المستقبل »[1] .

و أخيرا يمكننا القول بأن النظرية النقدية في عمومها قد ابتعدت في مراحلها الأخيرة عن الماركسية التي انطلقت منها في بداياتها , بل أعلنت هذه النظرية فشلها حينما اعتبر هابرماس بأن نظرية ما بعد الحداثة حالة مرضية بسبب اختلال التوازن بين ماهو معنوي و بين ماهو مادي.

و هكذا نصل إلى أن النظرية هي قراءة ماركسية للمجتمع و نقد للنظرية العلمية و الوضعية التي أهملت الإنسان و الذات و التاريخ و المجتمع و الأخلاق , و من ثم تعمل النظرية النقدية في قراءاتها للأدب و الفن إلى مفاهيم النقد الماركسي الكلاسيكي أو الماركسية المعدلة في نظرية هابرماس و يمكن أن نحدد مجموعة من المراحل التي قطعتها النظرية النقدية الجديدة فكان هناك في البداية اهتمام بنقد الوضعية العلمية و معاداة الفكرة السامية , و بعد ذلك انتقل الاهتمام إلى المجال الثقافي مع هوركهايمر , ليتم الإنصات إلى الحركات الثورية الطلابية و الأقليات المضطهدة , لتتخذ النظرية النقدية توجها مع هابرماس بحيث بدأت النظرية النقدية الجديدة تقدم تصورات مختلفة حول المجتمع متأرجحة بين الفلسفة و العلم , كما أعيدت صياغة الماركسية من جديد على أسس علمية و سياسية و حتى إجتماعية ما بعد الحداثية لتنتهي النظرية النقدية بالثورة

[1]) تومبوتومور :مدرسة فرانكفورت فاصلة مرجع سابق ,ص 207 .

على ما بعد الحداثة نفسها و ذلك حينما وقع إختلال مجتمعي و حضاري بيّن القيم المادية و القيم المعنوية , فترتب عن ذلك إذن أن أصبحت ما بعد الحداثة هي حالة مرضية مأسوية .

خاتمة

الخاتمة

إن مسار مدرسة فرانكفورت منذ اللحظة التأسيسية إلى مراحل تطورها المختلفة يعتبر "ماكس هوركهايمر " مفكرا نقديا بشكل فعال في إثراء المنتوج الفكري للمدرسة و كان نقطة البدء لهذه المساهمات الفلسفية و الاجتماعية تتمثل في المساهمة في نقد واقع المجتمعات الأوروبية التي اصبحت تعيش الكثير من التناقضات فطرح الرواد الأوائل لمدرسة فرانكفورت تساؤلات عديدة تمحورت حول الوضع اللاإنساني الذي وصلت إليه الإنسانية , و لقد تبين لهم بأن هذه الأزمة هي أزمة عقل . هذا العقل الذي يعود إليه الفضل في تحرير الإنسان من رتبة القيود التي هيمنت على عقله و منعته من البحث الحر , لتفرض عليه معالجة القضايا التي تحددها سلطة الدين و السياسة , و عملية تحرير الإنسان هذه قد رفع لوائها مشروع التنوير , حيث تكفل فلاسفة الأنوار في تجسيد هذه المهمة .

و لكن الذي حدث هو أن هذا العقل الذي تحرر بفعل التنوير صار عقلا مطلقا اتجه إلى الطبيعة لإخضاعها لسيطرته و تسخيرها لخدمته , و هو ما تحقق بالفعل كنتيجة حتمية للنهضة العلمية و التكنولوجية الكبيرة التي بلغتها البشرية في الوقت المعاصر و لكنه لم يقف عند هذا الحد , بل أصبح هذا العقل أداة للسيطرة عل ى الإنسان و على فكره و رغباته , و على عواطفه ففقد الفرد في داخل المجتمع الغربي كرامته , حريته , بل إنسانيته ليتحول إلى مجرد شيء لا يختلف عن أشياء الطبيعة , فالعقل الأنواري أصبح عقلا أذاتيا بإمتياز , نتيجة لهذا الإنحراف في مسار

العقل , و الذي أدى بدوره إلى إنحراف مشروع التنوير ككل عن الأهداف السامية التي وجد أصلا من أجلها .

لقد وجد فلاسفة فرانكفورت و من أهمهم ماكس هوركهايمر أمام ضرورة التدخل لإنقاض الوضع الإنساني .

و نلاحظ كذلك بأن النظرية النقدية قد أتت كرد فعل للنظريات النقدية المثالية – كانط و هيجل – بالإعتماد على القراءة الماركسية الجدلية و الإستعانة بالمادية التاريخية .

و لا ننسى بالذكر إتجاه كل من الفيلسوف ماكس هوركهايمر الذي بدوره تمثل في المنهج النقدي الجدلي الذي كان يهدف إلى توحيد النظرية النقدية بالممارسة العملية (النظرية و التطبيق)و كذا تقديم نظرية نقدية للمجتمع تستطيع الوقوف أمام فكرة التسلط , العنف , و تسعى إلى جعل الفكر النقدي ليبراليا و غير ليبرالي في الوقت ذاته و أن لا تخجل من الصراع الإجتماعي الواقعي , و أن لا تبخل عن أية مهاونة مع أية سلطة ما دامت تهدف إلى الإستقلالية و إلى تحقيق سلطة الإنسان على حياته الذاتية مثلما هي على الطبيعة .

و كذلك لا ننسى إتجاه الفيلسوف يورغن هابرماس , وهو يعتبر الأخر إتجاه فلسفي أنتروبولوجي و يؤكد على دراسة الرأسمالية المتأخرة كمجتمع صناعي عقلاني ذي أيديولوجية تكنوقراطية كما صاغها في نظرته في السلوك الإتصالي .

و في الأخير نلخص إلى النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت قد إتخدت في مسارها الطويل اتجاهات مختلفة , ليس الخلفيات الاجتماعية لروادها من جهة و اهتماماتهم المختلفة التي ارتبطت بأفكار عصر التنوير من جهة أخرى , و مع ذلك فإن هناك ما يجمع بين روادها مع اختلاف اتجاهاتهم و هو نقدهم للمجتمع الصناعي الشمولي و ما يفرزه من تناقضات و بخاصة في ثقافة البرجواز.

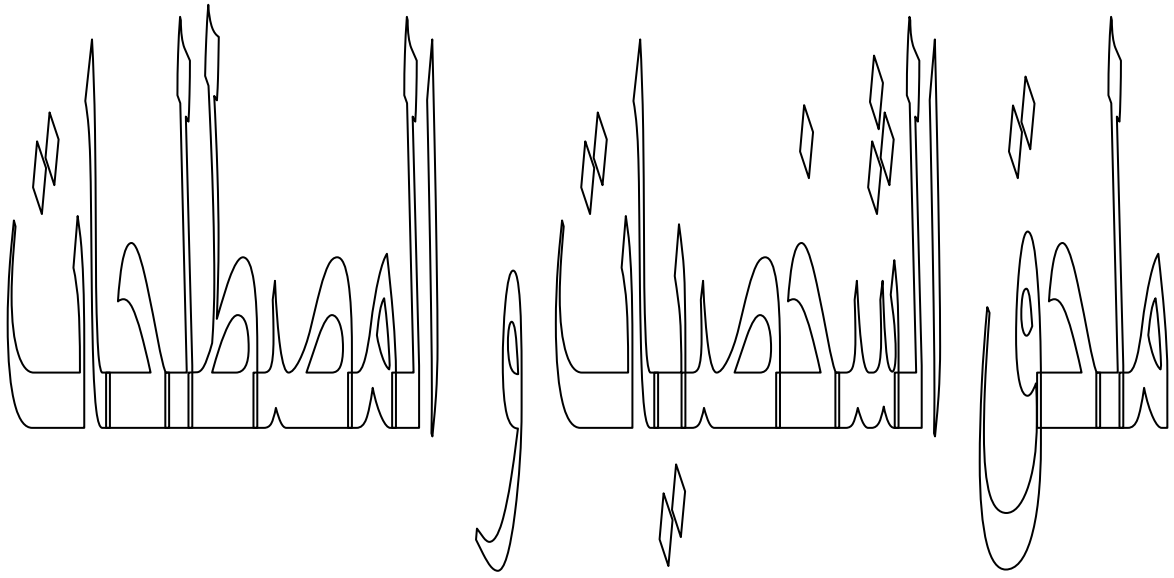

ملحق المصطلحات

1-التقنية :عملية السعي وراء الحياة بطرق مغايرة للحياة و هي مادة منظمة لا عضوية , و تعتبر التقنية التطبيقات العلمية لجميع العلوم و المعرفة في شتى الميادين , وهي بمعنى أخر جمع الطرق التي استخدمت من قبل الإنسان كالاختراعات و الاكتشافات لإشباع رغباته و تلبية احتياجاته

2-التنوير : مصطلح يشير إلى نشوء حركة ثقافية تاريخية قامت بالدفاع عن العقلانية و مبادئها لوسائل لتأسيس النظام الشرعي من الأخلاق و المعرفة , التنوير هو حركة فكرية خلال مرحلة مهمة من تاريخ أوروبا الحديث في القرنين 18 – 19 , قام بها الفلاسفة و العلماء الذين نادوا بقوة العقل و قدرته على فهم العالم و ادراكه و فهم قوانين حركته

اعتمد التنوير على التجربة العلمية و النتائج المادية بدلا من الإعتماد على الخرافة و الخيال

3-الأداتية : أي العقل الأداتي في الفلسفة الاجتماعية يقصد به ذلك النمط من التفكير الذي يعرف مشكلة ما و يسعى لحلها مباشرة دون تساؤل عن مضمون هذه الحلول و الغاياتو ما إذا كان إنسانية أو معادية للإنسان فالعقلانية الأداتية هي موضوع دراسة لكل من علم اجتماعي و فلسفة اجتماعية و النظرية النقدية و أشهر ناقد للعقل الأداتي هو الفيلسوف الألماني مارتن هيدغر

نجد هوركهايمر وجه انتقادات للعقلانية الأداتية في محاولة تفسير هيمنة العقل الأداتي على المجتمعات الغربية الحديثة .

4-التشيؤ : ببساطة التشيؤ هو أن يتحول الإنسان إلى شيء تتمركز أحلامه حول الأشياء فلا يتجاوز السطح المادي و عالم الأشياء و الإنسان المتشيئ إنسان ذو بعد واحد قادر على التعامل مع الأشياء بكفاءة غير عادية من خلال نماذج اختزالية بسيطة , و لكنه يفشل في التعامل مع البشر بسبب تركبتهم .

ملحص الشخصيات :

- يورغن هابرماس :فيلسوف و عالم اجتماع ألماني معاصر (18-06-1929) يعتبر من أهم علماء الاجتماع و السياسة فس عالمنا المعاصر ولد في ألمانيا و مازال يعيش في ألمانيا من أهم مفكري مدرسة فرانكفورت النقدية , له أزيد من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة و علم الاجتماع و هو صاحب نظرية الفعل التواصلي .

يعتبر الوريث الرئيسي المعاصر لتركة مدرسة فرانكفورت

- تيودور أدورنو :فيلسوف ألماني 1903/09/11 رائد من رواد مدرسة فرانكفورت الشهيرة معهد العلوم الاجتماعية و اشتهر بدراسته للفن و علم الموسيقى و المجتمع الرأسمالي أصحاب النظرية النقدية و أعماله تشترك مع أعمال مفكرين أخرين مثل الذين يعتبرون أعمال فرويد و ماركس و هيجل أساسية لنقد المجتمع الحديث

- جورج لوكاش : فيلسوف و كاتب و ناقد و وزير مجري ماركسي ولد في بودابست عصمة المجر , يعده معظم الدارسين مؤسس الماركسية الغربية في مقابل فلسفة الإتحاد السوفياتي , أسهم بعدة أفكار منها التشيؤ و الوعي الطبقي تندرج تحت النظرية و الفلسفة الماركسية , و كان نقده الأدبي مؤثرا في مدرسة الواقعية الأدبية و في الرواية بشكل عام باعتبارها نوعا أدبيا .
- ماركيوز : فيلسوف و مفكر ألماني معروف بتنظيره لليسار الراديكالي و حركات اليسار الجديد و نقده الحاد للانظمة القائمة , ولد في برلين لعائلة يهودية , خدم في الجيش الألماني , كان عضو في جماعة فرانكفورت الثقافية مع هوركهايمر و كان يمثل الجناح اليساري فيها و قد ركز في كتاباته على نقد الرأسمالية و تجددي الأطروحات الماركسية , توفي عام 1979 بسكتة دماغية أثناء زيارته لألمانيا رفقة هابرماس

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

1-ماكس هوركهايمر ,ثيودور أدورنو: جدل التنوير ,تر: جورج كنوزة , دار الكتاب الجديدة المتحدة , ألمانيا ,1944.

2-ماكس هوركهايمر : النظرية التقليدية و النظرية النقدية ,تر: مصطفى الناوي ,دار العيون , المقالات ,ط1, 1989

3-يورغن هابرماس :جدلية العلمنة العقل و الدين ,تقديم حميد لشهب ,جداول للنشر و التوزيع ,بيروت ,ط1 , 2013.

I. قائمة المراجع :

1-أفايا محمد نورالدين , الحداثة و التواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة (نموذج هابرماس), افريقيا الشرق –المغرب- الدار البيضاء ,ط2, بيروت .

2-آلن هو :النظرية النقدية ,تر:ثائر ديب , دار العين للنشر , الإسكندرية ,ط1.

3-بوتومور توم :مدرسة فرانكفورت ,تر: سعد هجرس ,دارأويا للطباعة و النشر و التوزيع ,طرابلس ,ط1 ,1998 .

4-بومنير كمال :قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت , مؤسسة كنوز الحكمة ,الجزائر ,ط1, 2009 .

5-بومنير كمال : النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوكهايمر إلى أكسل هونيت , الدار البيضاء للعلوم ناشرون , بيروت ,ط1 , 2010.

6-بول لوران أسون :مدرسة فرانكفورت , تر : سعاد حرب ,المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع , بيروت ,ط1 ,1990 .

7-جيمس جوردن فينليسون : يورغن هابرماس (مقدمة قصيرة جدا),تر: أحمد محمد الزوالي , مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة القاهرة ,ط1 ,2014 .

8-حسن مصدق : يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية التواصلية), المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء ,ط1 ,2005.

9-دولتان تاز :النظرية الاجتماعية و نقد المجتمع ,دار المعرفة الجامعية الاسكندرية(د ط)

10 عمر مهيبل : من النسق إلى الذات : الدار العربية للعلو , الجزائر ,ط1 ,2007.

11 فيل سليتر :مدرسة فرانكفورت نشأتها و مغزاها وجهة نظر ماركسية ,تر: خليل كلفت ,دار المجلس الأعلى للثقافة ' القاهرة ,ط1, 2000.

12 هيدغر : التصورات الأساسية ,تر : محمد سبيلا و عبد السلام بن عبد العالي , دار توبقال ,ط1 , 1996 .

13 علاء طاهر :مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس مركز الانماء القومي , بيروت ,ط1 ,2008 .

14 محسن الخوني : التنوير و النقد (منزلة كانط في مدرسة فرانكفورت) دار الحوار للنشر و التوزيع , سوريا ,ط2 , 2009.

II. الموسوعات :

1-عبد الرحمن بدوي :موسوعة الفلسفة ,ج1, المؤسسة العربية للدراسات و النشر , بيروت ,ط1 , 1984 .

2-علي المحمداوي ,موسوعة الأبحاث الفلسفية (الفلسفة الغربية المعاصرة صناعة العقل العربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج) ج1 ,منشورات ضعاف , بيروت , ط1 , 2013 .

III. المجالات :

1-ابراهيم الحيدري : النظرية النقدية وديالكتيك عصر التنوير , دراسات عربية العددان 9 .10 .تاريخ , مارس, أفريل , جوان ,جويلية ,أوت ,1989 .

2-أيان كريب : النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس , تر: محمد حسين غلوم,مراجعة محمد عصفور , عالم المعرفة , العدد 244 ,أفريل ,الكويت , 1999 .

3-أيان كريب ,النظرية النقدية الاجتماعية من بارسونزإلى هابرماس , تر : محمد حسين غلوم مراجعة محمد عصفور , عالم العرفة , سلسلة كتب ثقافية شهرية , العدد 240,الكويت 1978.

IV. المذكرات :

1-زهاني كريمة : موقف النظرية النقدية من الابستيمولوجيا الوضعية (هربرت ماركيوز) – نموذجا– مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في الفلسفة , كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ,جامعة منتوري قسنطينة ,2011 .2012.

2- نورالدين بوزار : الفلسفة و العلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت ,ماكس هوركهايمر و ثيودور أدورنو– نموذجا – دراسة تحليلة نقدية , أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة , كلية العلوم الاجتماعية , جامعة وهران .2016.

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
الآية الكريمة	01
شكر و عرفان	01
إهداء	02
خطة البحث	01
مقدمة	12
الفصل الأول :النظرية النقدية من النشأة إلى التطور	20
المبحث الأول : ماكس هوركهايمر حياته و مؤلفاته	17-13
المبحث الثاني :مفهوم النظرية النقدية	22-18
المبحث الثالث : نشأة النظرية النقدية	31-23
الفصل الثاني :أبعاد النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر	19
المبحث الأول :النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر	38-33
المبحث الثاني : التشيؤ عند ماكس هوركهايمر	40-39
المبحث الثالث : مقاربة نقدية للعقل التنويري عند ماكس هوركهايمر	46-41
المبحث الرابع : مسألة التقنية عند ماكس هوركهايمر	50-47
الفصل الثالث : النظرية النقدية في الميزان	12
المبحث الأول : إعادة بناء هابرماس للنظرية النقدية	58-52
المبحث الثاني النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر	62-59
خاتمة	66-63
ملحق الشخصيات و المصطلحات	70-67
قائمة المصادر و المراجع	74-71
الفهرس	76-75